مهذّب ردّ الشيخ ربيع المدخلي
لهجوم الغزالي على السنة وأهلها

تهذيب

سعد الحصين

عفا الله عن الجميع

حفظ حقوق التأليف والطبع قانون أوربّي لم يشرعه الله , وعلوم الشريعة لا يجوز تحجيرها ولا احتكارها , ونشرها ابتغاء وجه الله عبادة صالحة .

الطبعة الأولى للأصل

١٤١٠ – ١٩٨٩

الطبعة الأولى للمهذّب

١٤٣١ – ٢٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

(**بيان التهذّيب**)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات إعمالنا , من يهده الله فلا مضل له , ومن يضلل فلا هادي له , ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد : فلم أكن قرأت ردّا على الأستاذ محمد الغزالي [تجاوز الله عنه] هجْمَتَه الشرسة على السّنّة وأهلها في كتابه : (السّنّة النّبويّة بين أهل الفقه وأهل الحديث) بخاصّة وغيره بعامه غير ردّ الأستاذ جمال سلطان على الكتاب المذكور بعنوان : (أزمة الحوار الدّيني) وأُعْجبتُ به وعملتُ على نشره في بلاد الشام المباركة أثناء إقامتي فيها خادماً للدعوة والدعاة على منهاج النّبوّة .

وفي منتصف عام ١٤٣١ وَجَدْتُ كتاباً خيراً منه بعنوان :(كشف موقف الغزالي من السّنّة وأهلها) قد طُبِعَ قبل عشرين سنه (عام ١٤١٠) للشيخ د/ ربيع بن هادي المدخلي رئيس شعبه السّنّة في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة (قبل بلوغه سنّ التّقاعد , وانتهاء التمديد النظامي له وتنفيذ رغبته القديمة في الانتقال للإقامة بمكة المباركة) , وأحببت شكراً لله ثم للمدافعين عن سنة نبيّه محمد ﷺ وعن سبيل المؤمنين المتّبعين لسنّته : تهذيب هذا المؤلّف ونشرَه رغم وفاة محمد الغزالي , لأن منهاجه الضّالّ لا يزال حيّاً في فكر المخدوعين به ظنّاً أنه الحق :

١ - أَحْذَر وأُحَذّر دائماً منَ الحُكمْ على ما تخفي الصّدور , فذلك خاصُ بالله وحده مهما ظهر من سوء عمل المسلم أو حُسْنِه فلن يعلم نيّته ولا خاتمته إلا الله , وقد قال الله عن شرّ خلقه: ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ وقال تعالى: ﴿ وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ﴾

٢ - إذن فليس للمخلوق إلا الحكم على ظاهر العمل , وعليه بيان الحقّ ورحمة الخلق , والرّدّ علناً على الخطأ المعُلَن بالحِكْمة (وهي القران والسّنّة , بفهم أئمة السّلف في القرون الخيّرة) .

٣- وأتجّنب الاستدلال بالفكر والشعر أو المصطلحات البشرية فهي عرضةُ للخطأ بصرف النظر عمّن صدرت عنه أو نُسبَتْ إليه

٤ - ومشكلة محمد الغزالي مثل غيره من الكتّاب والصحفيّين تجاوز الله عنا وعنهم جميعا تبدأ وتنتهي في رأيي من وزنهم الدّين بميزان الفكر في نصّ الوحي , لا الفقه فيه من أهله الأُوَل الذين

نهى الله تعالى عن مفارق سبيلهم بقوله: ﴿ ويتّبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ﴾ , وارتضاهم النبي ﷺ قدوة فقال "عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي " وقال: " ما أنا عليه وأصحابي "

أو أثنى عليهم وعلى متبعي سنتهم بقوله : " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "

٥ – وكتاب (السّنّة النّبويّة بين أهل الفقه وأهل الحديث) دليل واضح على ما أقول , فالغزالي يَفْرِض نفسه حَكَماً بين فريقين من علماء الأمّة لم يختصما ، وليس أهلاً للفصل بينهما لو اختصما فلم يؤت بسطة تُذْكر في الفقه ولا في الحديث إلاّ أنْ يُظَنّ ظنّ الإثم أنّ الاصطلاح الفكري الملحد

(حدثني قلبي عن ربي) أساس صحيح للعلم أو الفتوى أو الحُكْم أو العمل .

٥ – يذكر الغزالي (ص ٦)أن معهد الفكر الإسلامي في أمريكا كلّفه بوضع الكتاب (لِيُنْصف السّنّة ويذود عنها جراءة القاصرين وذوى العقول الكليلة) ، فرحّب بالتكليف وسارع للتّنفيذ, فاجتمع أهل الابتداع على الإفك ينشره أهل الفكر الموصوف زوراً بالإسلامي , ومؤسّسة سوّلت الأنفس الأمارة بالسّوء ووسوس الشيطان بها لَيَضِلّ المسلمون عن الفقه فيظنوا أن الهدى في الفكر ، والقائمون علي هذه المؤسسة (معهد الفكر الإسلامي) في أمريكا ينافسون الغزالي في الجهل بشرع الله ولانصراف إلى الهوى ، وهم وهو ممن يسمّيهم الغزالي : (أولو الألباب) وهم في الحقيقة القائلون على الله وعلى شرعه بغير علم , ترأسوا فأفتوا فضلّوا وأضلّوا ردهم الله إلى دينه .

٦– يظهر لي أن معهد الفكر والقائمين عليه (هداهم الله وكفى الإسلام والمسلمين شرّهم) جَبُنوا عن مواجهة أهل الحديث في جزيرة العرب الذين يمّولون المعهد جهلاً بحاله وانخداعاً بوصف الإسلامي ، فاختار الغزالي أن (يواجه وحده ما قد يثور من اعتراضات) , ولعله اعتمد على الكَرم العربي المبتذل والتّغلغل الحزبي الإخواني في السعودية التي تَقُوْد رَكْب السّنّة منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري .

وصدّق الحزبيون ظنه فرشّحته المؤسّسة الإخوانيّة المغتصبة (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) لجائزة الملك فيصل , وأجاز الترشيح لجنة الجائزة من متّبعي الفكر تجاوز الله عن الجميع .

٧– أشار الأستاذ جمال سلطان في ردّه إلى العلاقة المريبة بين الغزالي وبين أسرة معهد الفكر

(المشئوم على الإسلام والسنة وأهلهما) ، وقد وصف الغزالي نفسه علاقته بأسرة الضلال عن الوحي والفقه فيه من أهله إلى الفكر (طه جابر العلواني وعبد الحميد أبو سليمان بخاصة) وصفها بالصداقة الحميمة والقرابة العقليّة (ص٦)

٨- أشار الشيخ ربيع المدخلي والأستاذ جمال سلطان إلى تناقض دعوى الغزالي : (التعامل مع جوّ الصحوة برفق واقتياده إلى الطريق المستقيم) . (ص٨) وبين هجومه الشرس على السّلفيّين أهل الحديث ووصفهم :(بالقاصرين وذوي العقول الكليلة), ويفتيان السّوء والرّعاع والهمل ووصف فقههم السلفي (بالفقه البدوي والدّين الإقليمي والتصّور الطفولي) ونعتهم تارة (بغفلة الذهن وخلو الصحيفة في شؤون الحياة)

٩- قليلاً ما يفصح الغزالي عن مصادره كَما يقول الشيخ د . ربيع المدخلي – ولكنّه ينسى حذره أحياناً فيتبيّن للباحث المحقّق أن من مصادره النظّام الملحد (في نظر بعض علماء الباحثين) الزنديق (في وصف علماء آخرين) , وكان اهون ما وُصف به النظّام (الاعتزال) على سوئه ويتبين للباحث أنّ من مصادر الغزالي (الاشتراكيّة) التي سمّاها (إسلامية) فافترى على كلّ منهما , أمّا نبزه السّلفيّين بالطفولة الفكرية فأورد دليلاً (ص ١٠٨) على انه أخذها عن (لينين الحاكم الأول للشيوعيّة وناقلها من النظرية إلى السياسة) .

١٠- وصف الغزالي خير هذه الأمّة (لالتزامهم بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه) وصفهم بالعوج الفكري (ص ١٦٠), ووصف المؤمنين (بالسذّج الأغرار) , في مقابل وصفه الملحدين (بالمَكَرة المهرة الخبراء الأذكياء) (ص ١٣٨) .

وإذا كان هذا ومثله كثير هو (الرفق في التعامل) كما يدّعي الغزالي فكيف يكون العنف ؟

١١- بلغ الغرور بالغزالي إلى وصف نفسه وعصابته الخارجين عن منهاج النبّوة والصحبة والإتّباع (بأولي الألباب) ولو أضاف إلى الألباب وصف (المنحرفة) لما كُتِبتْ عليه كذبة .

١٢- (أوجع فؤاد [الغزالي] أن بعض الشباب كان يهتم بمسألة : هل لُمْس المرأة ينقض الوضوء أكثر من اهتمامه بإجراء انتخابات حرّة أو مزوّرة) (ص ٩) , وهذا دليل على أن من مصادره : (الدّيمقراطية) كما ذكر الشيخ د. ربيع المدخلي ومن أبرز مظاهرها الانتخابات الحرّة أو المزوّرة وهي في رأيي من أسوأ نتائجها , ولو حكّم الشرع أو على الأقل العقل غير المنحرف لما ساوى بين أحكام الدين وأحكام القوانين والأكثرية التي لا تؤمن ولا تعلم ولا تشكر (كما وصفها الله) .

١٣- كتب الغزالي (١٥ صفحة) عن (إباحة الغناء) , ولما لم يجد له سلفاً في القرون الأولى غير شذوذ ابن حزم رحمه الله التمس التأييد في (فكر مريم جميله ومحمد بكتل) وهما مثله أجدر ألا يعلما حدود ما أنزل الله , ولكنهما كانا خيراً منه فلم يسقطا مثله في هاوية إفْكهِ أن غناء أم كلثوم لبيت شوقي : (ويا رب هل تُغْنِي عن العبد حجّة . وفي العمر ما فيه من الهفوات) لون من العبودية المطلوبة لله سبحانه) (ص ٧١).

١٤- صرّح الغزالي أكثر من مرّة بأن أكبر همّه رضا الأوربيين والقوانين العالمية عن هذا الدّين ونسي قول الله تعالى : ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم ﴾ ؛ فكرّر القول بأنه لا يريد أن تقف الدعوة إلى ترك الغناء ولا الدعوة إلى ترك الموسيقى والفنون الجميلة (ص ٧٦ و ٧٧) عائقاً دون تحقيق محاولته الوهميّة إصلاح عقائد الأوربيين .

وهو لا يريد أن (يوهن دينه أمام القوانين العالميّة باستبعاد شهادة المرأة في الحدود والقصاص) (ص ٥٨) , وهو يريد إعطاء صورة عملية للإسلام تعجب الرّائين) (ص ٣٦) , وهذا أبرز طرق الضلال .

١٥- يدّعى الغزالي تجاوز الله عنه أن انصراف المسلم (عن التمكن في الأرض فاحشة اشد من الزنى والرّبا) (ص ١١٤) , وهذا استدراك على شرع الله . ولعله من إعجابه بالأوربيين أصابته عدوى الدّنكهوتيه فجعل أكبر وظائفه امتطاء حمار فكره ومحاربة الأشباح الدّينية .

جزى الله الشيخ د . ربيع والأستاذ جمال ومعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ الذي لم أجد ردّه في مكتبتي خير الجزاء وأجزل الثواب لدفاعهم عن السّنّة وأهلها بعض ما افتراه دعاة الفكر والهوى والظنّ وقال الله تعالى : ﴿ إن يتّبعون إلا الظّنّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ .

ونسأل الله أن يثبتنا على دينه الحق حتى نلقاه راضياً عنا , وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته .

بسم الله الرحمن الرحيم

(موقف الغزالي من السنة وأهلها)

قال تعالى :﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً ، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ﴾ ، وقال في شأن هذا الكتاب العظيم :﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾

وأعطى الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بما أنزل على قلبه من كتابه لبيان للناس منزلة عظيمة فقال تعالى : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ , وقال تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ , وقال تعالى : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ , وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾

وقال تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾, وقال تعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ وقال تعالى : ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ , وقال تعالى: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾

وقد عرف المسلمون هذه المنزلة العالية لسنة رسول الله ﷺ فأحلوها سويداء قلوبهم محبة وإجلالا وطاعة وانقياداً وتصديقاً وعملاً , وبذلوا جهودا كبيرة لحفظها وصيانتها من العبث فدونوا الدواوين لحفظ نصوصها وألفوا في رجالها وبينوا أحوالهم من عدالة وجرح بما لا يعرف له نظير في أمة من الأمم .

ومن معرفة المسلمين بمنزلة السنة(خصوصا المحدثين منهم وعلى رأسهم أصحاب رسول الله ﷺ) بذلوا النفس والنفيس خدمة لهذا العلم حتى إن كان الرجل ليرحل مسافة شهر أو أكثر من أجل حديث واحد ليطمئن إلى صحته وضبطه ,

ومع كل هذا لم تسلم هذه السنة المطهرة من خصوم في كل زمان ومكان من الداخل والخارج ، وفي هذا العصر اشتدت وطأة المستشرقين على السنة النبوية، وساندهم قوم ممن ينتمون إلى الإسلام [سوّلت لهم أنفسهم وشياطينهم] الأخذ بمنهاج أعدائهم

(محمد الغزالي بين خصوم السنه)

ويؤسفنا أن الأستاذ محمد الغزالي [تجاوز الله عنه] قد حشر نفسه بين خصوم السنة , بل صار من حملة لواء الحرب عليها — وهو يحسب أنه يحسن صنعاً – وأصبحت كتبه وفكره مدرسة يعبّ منها الحاقدون على الإسلام والسنة النبوية المطهرة، إن الغزالي في كثير من كتبه يتململ من السنة ولا سيما أخبار الآحاد [وكل ما يخالف فكره] تململ المحموم .

[وللغزالي محاولات صالحة أو دون ذلك لنصر الإسلام والدفاع عنه],لكنه يهدم ما يبني بهذه الحملات على السنة إذ لا إسلام بلا سنة فإذا زلزل بنيان السنة وطورد أهله بمثل قذائف الغزالي تحول بنيانها إلى خراب(إلا برحمة من الله وفضل على أمة محمدﷺ),ولا أدري هل يدرك الغزالي سوء عمله ؟ وهل يدرك مروجوا أفكاره سوء وأعمالهم؟

ولكني أعتقد أن مرد ضلاله إلى ضعف فهمه معنى الحديث فيخيِّل له هذا الضعف في فهمه أن الحديث يعارض القرآن أو يصادم العقل , إلا إذا كان هذا العقل جهميا أو معتزليا أو مستشرقا أو حاقداً أو ملحداً .

ثم لا تسمح له نفسه بمراجعة أقوال أهل الاختصاص من أئمة الحديث والفقه , وجهابذة النقاد الذين استطاعوا بما آتاهم الله من فقه وعلم راسخ أن يوفّقوا بين الأحاديث والآيات أو الأحاديث والأحاديث التي يظهر للمتسرعين أن بينها شيئا من التعارض فكانت نتيجة جهله شعور بالضيق والكراهية لكثير من الأحاديث , ولرواتها , وللمستدلين بها, لأنها لم توافق هواه.

وهو لم يتعوِّد الرجوع إلى كتب الموضوعات وكتب العلل التي بذل علماء الحديث جهودا عظيمة في نقدها من جهة الأسانيد والمتون ،ثم قاموا بتمييزها في كتب خاصة مثل:(الموضوعات)

لابن الجوزي و(اللآلي المصنوعة) للسيوطي و(الفوائد المجموعة) للشوكاني (وتنزيه الشريعة) لابن عراق أو مثل (العلل) لابن أبي حاتم و(العلل) للدارقطني، و(العلل المتناهية) لابن الجوزي ليأخذ منها يريده منها ما يشفي غيظه , بل يذهب إلى أغلى وأجل ما عند المسلمين من إرث سيد ولد آدم ﷺ ألا وهو دواوين السنة المشرفة وعلى رأسها الصحيحان (اللذان تلقتهما الأمة بالقبول ووُصِفَها بأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله)، فيختار منها ما لا يوافق منهجه المرتجل فيوسعه طعنا وتشويها وسخرية، كما يصب على المتمسكين بها وابلا من الشتائم والسخرية والتحقير.

وإن المسلم ليأسف أشد الأسف أن يرى في مؤلفات الغزالي هجوماً على من ينهل من السنة النبوية المطهرة أو يلتزم أحكام الشريعة التي تستند إلى البراهين النيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويدعمها إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وتمسك خيار هذه الأمة بأهدابها جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا.

وحتى لا أتّهم بالتحامل عليه فاني أعرض نماذج من حملاته على السنة وأهلها :

(١) [قال محمد الغزالي تجاوز الله عنه]: (إني رفضت حديث مسلم في الرضاعة، فهل انفردت بهذا ؟ لا، لأن أبا حنيفة رفض الحديث ، كما رفضه مالك ، لأن قواعد مذهبه تأبى هذا الحديث)(١)

(٢) وقال (أما الذي أرفضه وقد حاربته بضراوة، فهو سفاهة بعض الأولاد الذين يتنقلون في العالم الإسلامي ، وينشؤون عقيدة جديدة أن أبا الرسول وأمه في النار).

[قلت : إن الحديث قد صح بذلك وهو اعتقاد أبي حنيفة، وحكى ملا علي قاري الحنفي الإجماع عليه ونقل أقوال المفسرين وغيرهم في تأييده] .

---

(١) مجلة الدعوة العدد ٨٢ ١ ١/٢ شعبان ١٤٠٩هـــ ص ٢٨ , بل قال عن حديث مسلم في والد الرسول ﷺ:(هذا حديث يخالف القرآن , حُطَّه تحت رجليك), قاله بتاريخ ١٩٨٨/٤/٥ , في مناقشة رسالة العبد الشريفي في جامعة الجزائر المركزية

(٣) وقال الغزالي : (إن من الطفولة العقلية أن نجعل الاقتداء بالرسول الكريم اقتداء شكليا، فلقد كان للرسول ﷺ زي يلبسه ونعل يرتديها وعمامة يضعها على رأسه ، كما كان له عادات في قيامه وقعوده وطعامه وشرابه ، هذه كلها يتقيد بها البعض تقيداً شكلياً متزمتا مع أنها هوامش السنة . أما سنة الرسول الحقة، فهي مستمدة من كتاب الله ، فالرسول ﷺ ، كان خلقه القرآن ، وكان هو صميم عقله وأساس كيانه المعنوي ، وكان جوهر الرسول ﷺ هو هذا الكتاب العظيم الذي صنع حضارة العقل السليم فكيف ننسى هذا كله وننشغل بأمور شكلية هي أقرب إلى القشور.

إن قشرة البرتقالة أو قشرة البيضة قد تكون ضرورية لحفظها وبقائها، ولكن ليس معنى هذا أننا نأكل قشر البرتقال أو قشر البيض ، فالقشرة هي الشكل ومهمتها أن تصون الجوهر فإذا انتفعنا كان انتفاعنا بهذا الجوهر قبل كل شيء , أما الذين يعيشون على قشر البرتقالة أو قشر البيضة ولا ينفذون إلى الصميم ، فهم قوم جهلة!

وأنا أرفض أن يكون زمام الفكر الإنساني والإسلامي في أيدي هؤلاء) [١]

[قلت : الحمد الله الذي انطقه بربط رفضه [هذه المرّه]بمصطلحين مبتدعين : (الفكر الإنساني والإسلامي) لا بالفقه ولا بالحديث لأنه لا وزن لرفضه أو قبوله أيّا منهما].

[وأقول : في هذا الكلام استخفاف كبير بسنة رسول الله ﷺ , فليس فيما جاء به رسول الله قشور , ولا يجوز أن يشبه شيء منه بالقشور, بل يشبَّه ما جاء به بالشجرة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

ومن مشكاة النبوه :"الإيمان بضع وستون (أو بضع وسبعون) شعبة ,أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" [١] والرسولﷺ يذكرها كلها في سياق المدح والتكريم ، ولكن الغزالي يذكر بعض هدى النبي ﷺ في سياق الذم والسخرية]،

---

(١) البخاري ج ا باب الإيمان حديث رقم ٩ – ورواه مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٥٧ ، ٥٨ .

(٤) وقال [تجاوز الله عنه]: (في عصرنا ظهر فتيان سوء يتطاولون على أئمة الفقه باسم الدفاع عن الحديث النبوي مع أن الفقهاء ما حادوا عن السنة، ولا استهانوا بحديث صحت نسبته وسلم متنه).

[قلت : والغزالي مهووس بالتفريق بين الفقهاء والمحدثين , وخصّ الفقهاء بالمدح , وإن غفل أحيانا فذمّهم جميعا , وانما الفقه في الدين , أي : في نصوص الكتاب والسّنة بفهم أئمة السّلف]

(٥)ثم قال : (وكل ما فعلوه أنهم اكتشفوا عللا في بعض المرويات فردوها وفق المنهج العلمي المدروس وأرشدوا الأمة إلى ما هو أصدق قيلاَ وأهدى سبيلاً , وهم بهذا يتأسون بالصحابة والتابعين .

انظر موقف عائشة رضي الله عنها عندما سمعت حديث "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه" لقد أنكرته ، وحلفت أن الرسول ما قاله , وقالت بياناً لرفضها إياه : أين منكم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ , إنها تَرُدُّ ما يخالف القرآن بجرأة وثقة .

ومع ذلك فإن هذا الحديث المرفوض من عائشة مثبت في الصحاح ، بل إن ابن سعد في (طبقاته الكبرى) كرره في بضعة أسانيد[١].

وعندي أن ذلك المسلك الذي سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصّحاح إلى نصوص الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

من أجل ذلك كان أئمة الفقه الإسلامي يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولا, فإذا وجدوا في ركام المرويات ما يتسق معه قبلوه وإلا فالقرآن أولى بالإتباع) [٢]

(وفي الجهة المقابلة نجد صنفاً آخر يدعي التفويض والسلفية، ويتبع الأخبار التافهة ذات الأسانيد المظلمة، ويستقي منها العقائد، ويجري وراء نص هنا ونص هناك ، فيطوي المسافة بينهما ليخرج

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص ١٥ -١٦.

(٢) المصدر نفسه ص ١٧-١٨ .

آخر الأمر بضرب من التجسيم لا يعرفه المسلمون من سلف أو خلف . ولا يغرنك العناوين والأسماء، فإن بعضهم زعم أن ابن خزيمة وابن الإمام أحمد ممن حطبوا في هذا الحبل ، وكّونوا بما صنفوا فرقة من الرعاع أحدثت بعض الشغب في بغداد، ثم انتهى أمرها)[1].

إن نفراً من العمال والحمالين والفلاحين فرطوا في أعمالهم الحرفية والفنية مكتفين في إثبات تدينهم بثوب قصير ولحية مشوشة، وحمل العصا حينا وارتداء عمامة ذات ذنب عندما تكون المشيخة قد ثبتت لصاحبها. [2]

إننا لا نسمح أن يجيء نفر من الدهماء ليرفع خسيسته على حساب كبار الأئمة، وعندما تختفي القمم الفقهية من تاريخنا خلال أربعة عشر قرناً فمن يبرز بعد ذلك ؟

ومن الذي يزعم أن ابن حنبل هو ممثل السلفية في ذلكم الميدان وأن أبا حنيفة ومالكا والشافعي حادوا عن الطريق وأمسوا من الخلف لا من السلف ؟

إن هذا تفكير صبياني . . . وبعض الحنابلة الذين حكى (تاريخ بغداد) أنهم كانوا يطاردون الشافعية لحرصهم على القنوت في صلاة الفجر، هم فريق من الهمل لا وزن لهم ... وإذا كان من يخالفنا في الرأي مأجوراً فَلِمَ نَسُبُّه ونحرجه ونضيّق عليه الخناق[3]

(والذي أراني مضطرا إلى التنبيه إليه هو ضرورة العناية القصوى بالقرآن نفسه ، فإن ناسا أدمنوا النظر في كتب الحديث واتخذوا القرآن مهجورا , فنمت أفكارهم معوجة وطالت حيث يجب أن تقصر وقصرت حيث يجب أن تطول ، وتحمسوا حيث لا مكان للحماس وبردوا حيث تجب الثورة . [4]

---

(١) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص ١١٨.

(٢)سر تأخر المسلمين ص ٥٤.

(٣) هموم داعية ص ١٠٦ .

(٤) هموم داعية ص ١٣ .

والذهول عن المعانى الأولية والثانوية التي نضح بها الوحي المبارك لا يتم معه فقه ولا يصح دين [1] ذكر أبو داود حديثا واهيا جاء فيه عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ"لا تركب البحر إلا حاجا أو معتمرا أو غازيا في سبيل الله فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا".

وهذا الحديث الضعيف المردود خدع به الإمام الخطابى وعلل النهي عن ركوب البحر بأن الآفة تسرع إلى راكبه ولا يؤمن هلاكه في غالب الأمر.

إن الغفلة عن القرآن الكريم والقصور في إدراك معانيه القريبة أو الدقيقة عاهة نفسية وعقلية لا يداويها إدمان القراءة في كتب السنة، فإن السنة تجيء بعد القرآن ، وحسن فقهها يجيء من حسن الفقه في الكتاب نفسه ، وقد ذكر ابن كثير أن الإمام الشافعي قال : (كل ما حكم به الرسول ﷺ فهو مما فهمه من القرآن) فكيف يفقه الفرع من جهل الأصل ؟

أما أن يتهجم نفر من الطلاب أو بعض البوابين والبقالين على الأئمة الكبار وينالوا من قيمتهم العلمية، فهذا سفه منكور)[2]

(العلم المغشوش يهز الأمة ويخدم الاستعمار، الصحوة الإسلامية المعاصرة مهدّدة من أعداء كثيرين والغريب أن أخطر خصومها نوع من الفكر الديني يلبس ثوب السلفية وهو أبعد الناس عن السلف ، إنها ادعاء السلفية وليست السلفية الصحيحة)[3]

قلت : هذه الحملات هي بعض ما غزا الغزالي به السنة النبوية والسلفيين الذين آثروا الجمع بين التمسك بكتاب ربهم وبين التمسك بسنة نبيهم والاعتصام بفقه الخلفاء الراشدين والصحابة وتابعيهم في نصوصهما .

---

(١) هذا الكلام فيه طعن فى الامام أبي داود , إن لم يكن فى الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو راوي الحديث , فقد عهدنا من الغزالي وأمثاله الطعن في بعض الصحابة.

(٢) هموم داعية ص ٢٥.

(٣) سر تأخر العرب والمسلمين ص ٨٢ .

و لم يبين ما هى السّلفية الصحيحة كعادته الغامضة , وماذا يختار للمسلمين غيرها ؟

هل يختار لهم منهج الرافضة أو مذهب الخوارج أو المعتزلة أو الصوفية؟ هل يريد منهم أن يتخذوا منه [وهو غير مؤهل في الفقه ولا في الحديث]إماما يقلدونه فيما يرفضه من الأحاديث الصحيحة بكل جرأة وأن يضربوا عرض الحائط بما سمّاه الغزالي أخبار آحاد ولو كان في الصحيحين ودان به سلف الأمة وآمنوا به وناضلوا عنه أهل الأهواء على مر العصور , وهل وصفه لهؤلاء بأقبح الأوصاف من شيم العلماء وأخلاق النبلاء؟

لقد تردد في كتبه وصفهم بأنهم أولاد سفهاء وأصحاب طفولة عقلية وفتيان سوء ويتبعون الأخبار التافهة، وهم عمال وحمالون وفلاحون وبوابون وبقالون , وثيابهم قصيرة ولحاهم مشوشة، وهم نفر من الدهماء، يرفعون خسيستهم على حساب كبار الأئمة، وهم همل لا وزن لهم ، وأصحاب تفكير صبيانى , ومن ذنوبهم عند الغزالي : (إدمان النظر في كتب الحديث) وأفكارهم معوجة، وعلمهم مغشوش يهز الأمة ويخدم الاستعمار، وهم أخطر خصوم الصحوة الإسلامية.

كل هذا وهو يدعو في كتبه إلى أدب النفس واحترام مشاعر الآخرين , وقد كتب كتابا سماه (خلق المسلم) ، فهل هذا تطبيق عملي لما يدعو إليه ؟

لقد ذكر الله في كتابه أقواما استخدموا مثل أوصافه للسّلفيّين مثلاً في مقاومة الحق ومناهضته .

فقال تعالى عن قول قوم هود: ﴿إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبن ﴾ فهل ضر ذلك نبي الله هودا أو حط من مكانته العالية ؟

وقال تعالى عن قوم إذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ ، فدمغهم الله بقوله : ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ .

وقال تعالى عن قوم نوح : ﴿ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾ [فأهلكهم الله] .

وهل من الطّاعة لله ورسوله واتباع السنة النبوية أن يصف الغزالي الحديث الصحيح والمختلف فيه بقوله (هذا حديث مرفوض) , و: (قد رفض هذا الحديث فلان) و: (ركام الأحاديث) , و(الأخبار التافهة) , و(قشور) , و(ما من إمام من الأئمة الأربعة إلا وقد رفض أحاديث صحيحة)، أفي هذه ومثلها دعوة إلى اتباع رسول ﷺ والتزام سنته ، أم الحرب على السنة تحت ستار الدفاع عن الأئمة، والأئمة برآء من هذا التهويش على السنة وأهلها، بل هم أئمة المسلمين في احترام السنة وحبها والدعوة إليها والاحتجاج بها في العقائد والعبادات والمعاملات , بل يحتج أكثرهم بالمراسيل ويقدمونها على الرأي والقياس , ويأمرون أتباعهم بترك أقوالهم إذا خالفت نصاً محكماً من كتاب الله أو نصاً صحيحاً من سنة رسول الله ﷺ .

فهذا الإمام أبو حنيفة رحمه الله يقول : (إذا صح الحديث فهو مذهبي)[١] ، ويقول :(إذا قلت قولا يخالف كتاب الله تعالى أو خبراً لرسوله ﷺ فاتركوا قولي)[٢]

وقال الإمام مالك رحمه الله : (إنما أنا بشر أخطيء وأصيب فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه)[٣] .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : (ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه ، فمهما قُلْتُ من قول أو أصَّلْتُ من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت فالقول ما

(١) ابن عابدين في الحاشية : (٦٣/١).

(٢) الفلاني في الإيقاظ : ص ٥٠ .

(٣) ابن عبدالبر في الجامع : (٣٢/٢)، وابن حزم في أصول الأحكام : (١٤٩/٦)

قال رسول ﷺ، وهو قولي)[1] وقال : (أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد)[2] وقال : (إذا صح الحديث فهو مذهبي)[3]

ويقول للإمام أحمد: (أنتم أعلم بالحديث والرجال مني فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني به أي شيء يكون كوفيا أو بصريا أو شاميا، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحا)[4].

ويقول : (كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت ، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتى)[5].

ويقول : (إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبى ﷺ خلافه ، فاعلموا أن عقلي قد ذهب)[6]

وقال الإمام أحمد رحمه الله : (رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار)[7] , وقال : (من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة).

فأي احترام للسنة أعظم من هذا ؟ وهل إذا تمسك السلفيون بأهداب السنة وعظموها يكونون متطاولين وسبابين للأئمة ؟ بل المتطاول على السنة متطاول عليهم ومخالف لهم منابذ لمنهجهم ومسيء إلى نبيهم الكريم وسنته المطهرة .

(طعن الغزالي في المسلمين : أئمتهم وعامّتهم)

---

(١) تاريخ دمشق : (٢/١/١٥)

(٢) إعلام الموقعين : (٢/ ٣٦١).

(٣) المجموع للنووى : (١ /٦٣)

(٤) آداب الشافعي لابن أبي حاتم : .(ص ٩٤-٥ ٩).

(٥) الحلية : (١٠٧/٩)، وإعلام الموقعين : (٣٦٣/٢).

(٦) آداب الشافعي : (ص ٩٣)، والحلية : (١٠٦/٩).

(٧) مسائل الإمام أحمد لأبي داود: (ص ٧٦ ٢ و ٧٧ ٢).

(١) قال : (بل إن المسلمين في القرن الرابع وفي ظل الخلافة العباسية المعتلة المختلة تحولوا إلى فرق تتقاتل على السلطة وتتنازع على الإمارة، يكيد بعضهم لبعض ، ويلعن بعضهم بعضاً العلم الديني انحصر في فلسفات كلامية لا تمس القلوب أو مسائل فقهية ليس لها عند الله وزن .

إن العالم – وراء دار الإسلام – لم ير في الطريقة التي تحكم دولة الخلافة ما يعجب ، بل رأى ما ينفر. وقد سقط العباسيون كما سقط من قبلهم الأمويون ليؤكّدوا حقيقة علمية وتاريخية ثابتة ,وهي أن العرب لا يشد كيانهم إلا الدين ، فإذا خرجوا عليه تيقظت فيهم جاهليتهم ....لهم مسعور إلى السلطة وتعارك وحشي على الإمارة، وارتداء للدين على جسد أجرب ,ومتاجرة بفقه الفروع لا تنطلي على الله ، لأن معاقد الدين وقواعد الأخلاق واهية [١] .

هذا التشويه لتاريخ الدولتين الأموية والعباسية وعلمائها وعربها وفقهها وأخلاقها في هذا العصر بخاصة – الذي يواجه فيه المسلمون أعداء من الخارج والداخل متربصون بالإسلام والمسلمين يفرحون بمن يختلق لهم – خطأ أو عمداً – العيوب السنة والفقه والتاريخ وكل ما هو منسوب إلى الإسلام أو المسلمين [في القرون الأولى بخاصة].

فإذا قدم لهم كاتب يوصف بالإسلامي مثل هذه الصورة المظلمة الظالمة عن المسلمين [وأمرائهم]وعلمائهم وفقههم فإنه لا شك [يقوم] لهم بأعظم خدمة .

ألم يدرك الغزالي أن أعداء الإسلام يستغلون هذا الكلام أسوأ استغلال ؟ ألم يدرك أن دولة الرفض والباطنية يتخذون من هذا الكلام وأمثاله شهادة على أن الأمة عاشت طوال هذه القرون تحت ظلال الحكم السني في ظلم وظلمات [وقد فرحوا بسقطات سيّد قطب تجاوز الله عنه في ذم خلافة عثمان وشتم عدد من كبار الصحابة رضي الله عنهم ورفعوا اسمه على الطوابع والطرق],في هذه المرحلة [بخاصة] يجب أن نبرز محاسن هذين العهدين من علم وعمل وجهاد وفتوحات امتدت إلى مشارق الأرض ومغاربها .

---

(١) سر تأخر العرب والمسلمين : ص ٦٦ .

في هذه المرحلة ودولة التشيع الباطل تخطط وتبذل كل ما عندها من طاقات وإمكانات لفرض [عقيدتها]وسيطرتها على المسلمين يجب أن نكشف عن مخازي الرافضة والباطنية والقرامطة وما عرفوا به من خيانات وغدر وتآمر وسفك دماء ووقوف ضد سواد الأمة والسنة مع أعدائها.

وليس من الشرع ولا من العقل أن ندفن أمجادنا المشرقة وأن نجسم أخطاء أسلافنا ,وليس من الشرع والسياسة والحكمة والعقل أن نتجاهل فضائح وكبائر من يتربص بنا الدوائر ويكيد لنا ويخطط ويعمل لتدميرنا في الماضي والحاضر.

بل يعلن الغزالي ولاءه للروافض بمبايعة الخميني ويوكد بيعته بدعوة المسلمين إلى اتّباعه باسم وحدة المسلمين :(إن وحدة المسلمين لن تتحقق ما لم يجتمع المسلمون وراء الإمام الخميني)[1]

وهذا ما يدعوني الى الرّدّ على الغزالي وأمثاله من الكتاب الذين يلاحقون الدعاة إلى السنة وإلى منهج السلف الصالح بالدعايات الظالمة والاتهامات الغاشمة، وفي الوقت نفسه يلقون بالمودة والولاء لمن ينشرون الشرك والابتداع ويكيدون للأمة ويكفّرون خير أسلافها من الخلفاء الراشدين والصحابة [رضي الله عنهم] .

(٢) وقال : (أما دور المتحدثين في الدين الذين وقفوا النشاط العلمى، فيظهر أولا في البحوث الكلامية الغيبية، والفروع الفقهية الوهمية , والكراسات التى حفلت بحشو لا آخر له ، ثم يعدّون ذلك كله هو العلم الذي لا علم معه)[2]

---

(١) (الخمينى : دماء وتخريب وإرهاب).

(٢) مشكلات في طريق الحياة: ص ٤٧ .

(٣) وقال : (ثم استفاضت الدراسات الدينية وكثرت البحوث في كل ميدان , والذي رأيته وأنا أعمل في ميدان الدعوة من أربعين سنة أو يزيد أن أكثر هذه المعارف فضول وأن الناس يقبلون عليها تزجية للفراغ ومدافعة للبطالة)[١].

(٤) وقال : (قلت لواحد من هؤلاء: إن الفكر الديني سمن ونما له كرش من هذه القضايا، وما تعود له صحته إلا إذا ذهبت هذه السمنة واختفى هذا الكرش ، واشتغل المسلمون بعلوم الحياة التي ينصفون بها دينهم المجرح ويردون بها أعداء متوقحين)[٢]

[قلت:]وهكذا يستمر الهجوم العشوائي التعميمي – بلا مثال ولا نقل ولا توثيق – مثل :

١ – الفروع الفقهية الوهمية .

٢– الكراسات التي حفلت بحشو لا آخر له .

٣– أكثر هذه المعارف فضول .

ومن هذا الذي يجرح الدين ويعادي بوقاحته أئمته في الحديث وفي الفقه ؟ هذا بعض ما يوجهه الغزالي من طعن وتشويه إلى تاريخ الأمة [وعلومها وعلمائها], وتتغير موازينه عندما يريد إثارة الشغب على أهل التوحيد والسنة وإلهاب عامة المسلمين , فإن الفقه حينئذ يصبح له وزن عظيم ويصبح الفقهاء قمما سامقة.

(٥) وقال : (إنني لا أتعصب لمذهب معين ، ولكني أحترم القيمة العلمية للفقه المذهبي ، وأقدر الرجال الكبار الذين تناقلوه في تاريخنا الثقافي ، وأرد الزعم الغريب بأنه قسيم لفقه السنة، وأن كلا الطريقين بعيد من الآخر)[٣]

---

(١) مشكلات في طريق الحياة: ص ٤٣.

(٢) مشكلات في طريق الحياة : ص ٤٤ .

(٣) دستور الوحدة الثقافية: ص ١٠٣

(٦) وقال : (إن هؤلاء الناس يذهبون بأنفسهم ويتلمسون للبرآء العيب ، ويدعون العلم ، ويتهمون الأكابر من الفقهاء بالجهل ومشاقة الرسول ، وقد تبنوا أحكاما معينة في قضايا صغيرة أو كبيرة وخرجوا بها على الناس فزادوا المسلمين فرقة وزادوا الطين بلة .

ولما كان الإسلام يمر بفترة عصيبة من تاريخه الطويل , ولما كان ضغط الأديان الباطلة والمذاهب الجائرة شديدا , ولما كان أحوج ما يكون إلى أولي النهي والحصافة يعرضون تعاليمه ويحسنون الذود عنه ، فإن هؤلاء انطلقوا بقصورهم وجراءتهم يتحدثون عنه فأساؤا وأسفوا ووقفوا سيره وألحقوا به التهم .

إن تاريخنا الثقافي عامر بالرجال الراسخين في العلم , ولهؤلاء الرجال نظرات لها وزنها في فلسفات العالم ولهم كذلك في فقه الكتاب مذاهب محترمة , وقد استقر في ديننا أنه لا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، فلم لا ننتفع بهذه الحصيلة الرائعة في ثقافتنا الإسلامية ونحن نواجه في فلسفة الأخلاق والقانون والحضارة ما لا بد من رده بالحسنى)؟ (١)

قلت : أنظر كيف تغيرت موازينه وكيف تحول الآن ما سماه قَبْلُ بالحشو والفضول والفقه الذي لا وزن له إلى مذاهب محترمة وحصيلة رائعة يجب أن يُنْتفع بها، وتحول أهلها الذين قال فيهم قبل: (إنهم يرتدون الدين على جسد أجرب)، و(أنهم يتاجرون بالفقه) , إلى رجال راسخين في العلم قد عمر بهم تاريخنا الثقافي .

لماذا غيّر موازينه ؟ لأنه يواجه [أولا يواجه]أهل الحديث أخطر أعداء الصحوة الإسلامية في نظره وكأنّ الشيعة والشيوعية واليهودية والنصرانية [والعلمانية والصوفية] أقل خطراً على على الإسلام من الدعوة السلفية [لأن هذه]لأنها تعتمد على الكتاب والسنة بفهم الأئمة الأول وهو لا يعرف الدعوة إلا جعجعة لا تطحن في الغالب إلا شراً .

---

(١) انظر كيف يقابل فلسفة الملحدين بالحسنى ولا تحظى السلفية منه إلا بالتي هى أسوأ .

وانظر إليه كيف يشيد بالفلسفة التي انحرفت عن الإسلام مثل فلسفة ابن سينا والفارابي وإخوان الصفا وغيرها من الفلسفات الضالة التي دك معاقلها علماء السنة ولكن [لها وزنها في فلسفات العالم العلماني] , يشيد بها الغزالي في الوقت الذي يعتبر الدعوة السلفية إساءة وإسفافا توقف سير الإسلام وتلحق به التهم ,[ويرى ردّ عدوان الفلسفة الحديثة والقانون والحضارة الصناعية بالحسنى, وهو يرد السلفيين بالسوآى].

(لين محمد الغزالي للنصارى)

الغزالي حليم ورفيق مع النصارى وإن خططوا لتدمير الإسلام والمسلمين, فبعد اطلاعه على ما وصفه (بخططهم المدمرة في تقرير مثير) يقول :

(بين يَدَيْ هذا التقرير المثير لابد من كلمة : إن الوحدة الوطنية الرائعة بين مسلمي مصر وأقباطها يجب أن تبقى وأن تصان ، وهي مفخرة تاريخية ودليل جيد على ما تسديه السماحة من بر وقسط .

ونحن ندرك أن الصليبية تغص بهذا المظهر الطيب وتريد القضاء عليه وليس بمستغرب أن تفلح في إفساد بعض النفوس وفي دفعها إلى تعكير الصفو .

وعلينا – والحالة هذه –أن نرأب كل صدع , ونطفيء كل فتنة , لكن ليس على حساب الإسلام ، وليس كذلك على حساب الجمهور الطيب من المواطنين الأقباط .

وقد كنت أريد أن أتجاهل ما يصنع الأخ العزيز شنودة [يعنى الذى حاك التخطيط المدمر] الرئيس الديني لإخواننا الأقباط غير أني وجدت عددا من توجيهاته قد أخذ طريقه إلى الحياة العملية) (١)

وهكذا يلين ويتعاطف مع عبّاد تماثيل عيسى وأمّه عليهما السلام , في الوقت الذي يتهمهم فيه بأنهم يحيكون الخطط لتدمير الإسلام والمسلمين ، ثم هو يعتبرهم إخوانه ويقدم لهم اعتذاره عن

---

(١) قذائف الحق : (ص ٦٦–٦٧) وانظر التقرير الذى يناقشه ص٦٢–٦٦) .

هذه الإشارة الحليمة الرقيقة ,أما السلفيون الملتزمون السّنة فقد عرفْتَ وستَعْرِف إن شاء الله كيف يخصّهم بسهام نقده الظالم .

(دعوة الغزالي للتآخي والوحدة بين الأديان)

قال في كتابه (من هنا نعلم) [1] : (ومع ذلك التاريخ السابق ، فإننا نحب أن نمد أيدينا، وأن نفتح آذاننا وقلوبنا إلى كل دعوة تؤاخي بين الأديان وتُقَرب بينها، وتنزع من قلوب أتباعها أسباب الشقاق . إننا نقبل مرحبين كل وحدة توجه قوى المتدينين إلى البناء لا الهدم ، وتذكرهم بنسبهم السماوي الكريم ، وتصرفهم إلى تكريس الجهود لمحاربة الإلحاد والفساد).

ونتساءل : هل يجوز لمسلم أن ينشد المؤاخاة والوحدة بين الإسلام والأديان الكافرة ؟ وهل يقبل الإسلام التآخي بينه و بين اليهودية والنصرانية , وربما المجوسية والبوذية والهندوكية؟ وأن يفتح المسلمون آذانهم وقلوبهم ويمدوا أيديهم إلى كل دعوة تؤاخي بين الإسلام دين الله الحق ، وبين الأديان المحرفة الوثنية والكافرة؟

[اللهم احم الإسلام من شرّ الدعاة إليه بغير علم].

أين هو من آيات القرآن الواضحة الفاضحة لكل من يريد أن يمد للكافرين يد الإخاء، ويفتح قلبه لهم بالمودة والولاء؟

أين هو من قول الله تعالى : ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾

أين هو من قول الله تعالى:﴿ ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون . أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا

(١) ص ٦٦ و الصحائف قبلها .

يعملون﴾إلى أن يقول : ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾

أين هو من قول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ ، وقوله تعالى : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) .

أين هو من قول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين .فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ .

ويقول الغزالي : (إننا نقبل مرحبين كل وحدة تُوَجِّه قوى المتدينن إلى البناء لا الهدم)
قلت : أبِناءً دينيا أم دنيويا [أم هما معاً ؟ ومن هو حتى يقبل أو يرفض باسم الإسلام والمسلمين يا للغرور والأجوف]. ؟

وما هذا (النسب السماوي الكريم) الذي ينسب إليه أدياناً محرفة باطلة أنكر الله نسبتها إلى السماء وقطع صلتها بالأنبياء؟ قال الله تعالى : ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ وقال تعالى : ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون﴾.

أيريد أن يُوَحدّ بين الدين المحرف المبدل وبين دين الله الحق المنزل؟ وا أسفاه على الإسلام إذا صار بين دعاته من[يدعوا بدعوى المودة والتآخي بينه وبين أديان الضلال].

هل ظنّ أن اليهود والنصارى سيقفون مع المسلمين جنبا إلى جنب ينصرون الحق ويحاربون الباطل ؟ وقد قال تعالى في بيان كفرهم بالحق وإيمانهم بالباطل: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾

[إنّه تجاوز الله] عنه كثيراً ما يتحدث عن قضايا باسم الإسلام , والإسلام وعلماء الإسلام وفقهاؤه منها برآء، وهذا والله من أشراط الساعة: " أن يتخذ الناس رؤوسا جهالا فيسألونهم فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون" .

(لين الغزالي للشيعة وقسوته على السلفيين)

وضمن حملة من حملاته على السلفية وأحد علمائها من أساتذة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبويّة قال : (لكن ما يسمى الآن بالسلفية ويقترح سبيلا للعودة شيء غريب حقاً، لأنه يتضمن جملة ضخمة من القضايا الطفيلية التي كان ينبغي أن تموت في مكانها ولا تكلف الأجيال بدراستها)،

وبعد هذه الحملة التي أربا بنفسي [وبالقارئ الكريم]عن [ذكر تفاصيلها تكلم عن] الباطنية والشيعة يلمّح بأسلوب غامض رقيق إلى ما جرى بينهم وبين أهل السنة، يدين أهل السنة بأكثر مما يدين هذه الفرق ثم يقول :(وأعترف بأن لي أصدقاء من الشيعة أعزهم وأحبهم ومن أجل ذلك أعرض هذه المباديء لدفع الأمور إلى طريق التصالح والإخاء)[1] ثم شرع في عرض مقترحاته التي يعرف هو أو غيره أنه لم يستجِبْ لها أصدق أصدقائه منهم وأحبهم إليه والواقع والتاريخ أكبر شاهد، وقد يئس منهم الشيخ رشيد رضا رحمه الله وهو أعلم منه وأوسع صدراً، وبعد هذا اليأس كتب فيهم ما يبين عوارهم ويفضح أساليبهم الماكرة وعقائدهم الفاسدة [وحاول شيخه حسن البنا رحمه الله وحزبه التقارب معهم فأَخْفَقَ]

(١) دستور الوحدة : ص ٥ ٣ ١، وانظر عرضه المشار إليه : (ص ١٣٢-١٣٤).

لقد تبين لذي عينين أن الغزالي ما شرق ولا ضاق ذرعا بأي دعوة ولا فِرْقة على وجه الأرض مثل ما شَرِقَ بالدعوة السلفية وهي دعوة علمية لها مدارسها ومناهجها ونشاطها المبارك على الإسلام والمسلمين [منذ القرون الأولى ثم جدّد الله بها دينه في كل قرن من القرون الثلاثة الأخيرة في جزيرة العرب]، وما من بقعة في الأرض إلا وقد امتد إليها نورها اليوم على يد إمامها العالم الرباني الحليم الرفيق الذي لم نعرف مثله في سعة الصدر ورحابة الأفق والخلق الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وعلى يد كثير من إخوانه في كل بلد[وهي وحدها تلتزم بما كان عليه النبيﷺ وأصحابه].

وإذا ظنّ الغزالي ظن الإثم أن المنهج السلفي(يتضمن جملة ضخمة من القضايا الطفيلية التي ينبغى أن تموت في مكانها) ، فما هي هذه القضايا ؟ وما هى القضايا الكبرى التي يجب أن تحيا ؟ هى ؟ قضايا الغناء أو قضايا تحرير المرأة ، أو قضايا الاعتزال والرفض التي [يغازلها] ؟ أم هي محاربة السنة [بشبة رفض]أخبار الآحاد , أو [بشبة]الدفاع عن [أئمة الفقهاء] وليس [لهم] عند السلفيين إلا الإجلال والإكبار، ولا تجد السب والشتم والطعن إلا في مثل مدرسة الكوثري ونظرائه ممن أعماهم التعصب المذهبي [وأضلهم الله على علم].

فهل قرأ ما كتبه الكوثري من الطعون في الأئمة، وما أكثر من طعن فيهم من أئمة الإسلام ؟

وهل قرأ ما كتبه من يسمى مسعود بن شيبة الملقب بشيخ الإسلام في مقدمة(كتاب التعليم) الذي حققه وعلق عليه [ابو غدّة]أحد تلاميذ الكوثرى من الطعن في نسب الشافعي ولغته وفقهه ، والطعن في نسب الإمام مالك والثوري, ومن الغلو في الإمام أبي حنيفة ما ينكره أبو حنيفة وينكره الإسلام والمسلمون ، وضمّنه ما نسبه زورا إلى الإمام عبد الله بن المبارك من نظم لا يقوله إلا جاهل أضله الغلو, وختمه بقوله :

فلعنة ربنا أعداد رمل على من رد قول أبي حنيفة[1]

انظر إلى هذا الغلو المخزي وإلى هذا اللعن الذي شمل الأمة والأئمة والفحول من أئمة الأحناف فضلا عن غيرهم لا سيما أبا يوسف ومحمد بن الحسن ، فما من إمام إلا وقد رد من أقوال أبي حنيفة ما يرى أنه أخطأ فيه ولا معصوم من الخطأ إلا الرسل في تبليغهم ما بُعِثوا به .

ومن تصدى لرد هذا العدوان وأمثاله من الكؤثري [ومن سبقه ومن لحقه]؟ إنهم السلفيون مثل : ابن تيمية وتلاميذه[بما لا يطمح إليه أمثال الغزالي].

لقد ألف شيخ السّلفيين – منذ القرن السابع الهجري – ابن تيمية كتابه العظيم :(رفع الملام عن الأئمة الأعلام) يرد به عدوان وبغي بعض المتعصبين للمذاهب على [أئمة المذاهب الأخرى] .

وألف ابن أبي العز الحنفي السلفي (المتوفى سنة ٧٩٢) ، وأحد تلاميذ تلاميذ ابن تيمية كتاب (الإتّباع) دفاعا عن الشافعي ومذهبه ورداً على أحد متعصبة الأحناف .

وألف الشيخ عبد الرحمن المعلمي السلفي كتابه العظيم:(التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل) رد فيه مطاعن الكوثري [الحنفي]في حوالى ثلاثمائة من أعلام الأمة ومنهم الأئمة الثلاثة مالك والشافعي، وأحمد ابن حنبل رحمهم الله جميعاً .

وفي عهدنا هذا نرى ونقرأ حملات شديدة من تلاميذ الكوثري ولا سيما الغزالي الذي شن حملات على السنة وأهلها بما لا يكاد يسبقه إليه متعصب .

[فقد أساء] إلى الأئمة أهل الصحاح , وإلى الإمام عبد الله بن الإمام أحمد , وإلى ابن خزيمة , وإلى ابن تيمية , وإلى علماء البلاد المقدسة في هذا العصر وما أكثر إساءاته وسخرياته بهم وبالسنة، فما أحوجه إلى (تنكيل)جديد .

---

(١) ص ٣٥٣ من مقدمة كتاب التعليم.

ثم لعله اتضح للقارئ مَنْ هم مصدر الشتائم والتطاول على المسلمين عموما وعلى الأئمة خصوصاً؟ ومن هم مصدر الشقاق ؟ ومن هم المتهمون ظلما وعدوانا ؟ ومن يصدق عليه قول الله :﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا﴾؟.

وإني لأرجو أن أوفق [وغيري]لكتابة دفاع مفصّل عن سنة رسول الله ﷺ التي تطاول عليها الغزالي [تجاوز الله عنه]، ودفاع عن أهل السنة والتوحيد [جزاهم الله خير الجزاء]بالحق والبراهين لا بالتعصب والهوى خلافا لأهل الأهواء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(الغزالي يضيق عطنه بأخبار الآحاد ولو في الصحيحين)

إنّه يضيق ذرعاً بأخبار رسول الله ﷺإذا جاءت عن طريق الآحاد ولو [أخرجها شيخا المحدثين] في الصحيحين , ذرعا ولا يقيم لها إذا خالفت رأيه وزناَ ولو تلقتها الأمة بالقبول [منذ القرن الأول].

وهو بهذا المسلك [المنحرف] يحيى منهج أهل [الشذوذو] البدع والضلال ويخالف جماهير العلماء من مختلف المذاهب حيث ذهبوا إلى أن من انواع خبر الآحاد المفيد للعلم ما يلي :

(١) ما تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له وعملاً بموجبه, وعلى هذا المذهب الصحيح أهل الحديث قاطبة , وعليه من الأئمة المشهورين : [العلامة]شمس الأئمة السرخسي ، وأمثاله من الحنفية . والقاضي عبد الوهاب وأمثاله من المالكية , والشيخ أبي حامد الإسفراييني ,والقاضي أبي الطيب الطبري , والشيخ أبي إسحاق الشيرازي ,وسليم الرازي , وأمثالهم من الشافعية , وأبي عبد الله بن حامد , والقاض أبي يعلى , وأبي الخطاب , وغيرهم من الحنابلة.

بل هو قول أكثر أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم ,كأبي إسحاق الإسفرائيني , وأبي بكر بن فورك , وأبي منصور التميمي , وابن السمعاني، وأبى هاشم الجبائي , وأبي عبد الله البصري .

وأيد هذا المذهب ابن حزم وابن الصلاح وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والبلقينى والحافظ ابن حجر والسيوطي .

(٢) ومن أنواع خبر الآحاد التي تفيد العلم : الخبر المحتف بالقرائن , وأيّد هذا المذهب إمام الحرمين ، وأبو حامد الغزالي , والسيف الآمدي , وابن الحاجب ، وغيرهم.

(٣) الخبر المستفيض الوارد من وجوه كثيرة لا مطعن فيها يفيد العلم النظري عند أهل الحديث

فهؤلاء جماهير العلماء من أصوليين وفقهاء، ومتكلمين مع أهل الحديث في أن خبر الآحاد إذا تلقته الأمة بالقبول أو احتفت به القرائن ، أو كان مستفيضا، أفاد العلم[1]

ونحن لا نرى الغزالي يذكر هذه الأنواع في حملاته على أخبار الآحاد، ولا يعبأ بهذه المقاييس لدى علماء الأمة , فأي حديث يخالف هواه يستهين برفضه , ويتبعه بسيل من التحقير والتسفيه لرواته ولأهل الحديث أو جمهورهم .

وهذا أسلوب انفرد به الغزالي من بين من أنكر أخبار الآحاد من أصناف المبتدعين .

وقد أنكر أحاديث كثيرة من الصحيحين وفقاَ لرأيه في أخبار الآحاد سواء منها ما تعلق بعقيدة أو تعلق بعمل .

وهو ينسب إلى العلماء ما لا يقولونه ولا يعتقدونه ,خذ مثلا قوله : (والأحاديث الصحاح من رواية الآحاد تفيد العلم المظنون لا العلم المستيقن ، وقد اتفق علماؤنا على العمل بها في فروع الشريعة .

ورأيت قلة من الظاهرية والحنابلة يرون العمل بالآحاد في القضايا القطعية , بيد أن هذا رأي مردود.

وعلى أية حال فعقائدنا تعتمد على نصوص متواترة سواء كان التواتر لفظيا أو معنويا)[2]

ويقول : (والبعد الذي لاحظناه عن منهج السلف يرجع إلى انتشار الأحاديث الضعيفة، ويرجع قبل ذلك إلى انتشار مقولة لم يكن لها رواج بين الفقهاء القدامى، وهي أن أحاديث

---

(١) تجد التفصيل في النكت للحافظ ابن حجر على مقدمة ابن الصلاح (١ /٣٧١ -٣٧٩)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨ /٤٠، ٤٨، ٤٩)، ومختصر الصواعق المرسلة للحافظ ابن القيم (ص٤٨١-٤٨٢)، ومحاسن الاصطلاح بهامش مقدمة ابن الصلاح للعلامة البلقيني الشافعي (ص ١٠١ ، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١ /١١٩-١٣٧)، والباعث الحثيث (ص ٣٥-٣٦)، وتدريب الراوي للحافظ السيوطي (ص ٧١).

(٢) الطريق من هنا: ص ٦٢ .

الآحاد تفيد اليقين العلمي الذي يفيده المتواتر، قال لي أحد المتمسكين بأن خبر الواحد يفيد اليقين : إن المدرس وهو رجل واحد يؤتمن على التعليم ، وإن السفير وهو رجل واحد يؤتمن على أخبار دولته ، وإن الصحافي في الخبر الذي ينقله يؤتمن على ما يذكره . . . الخ , قلت : إن العنعنات التي تنقل بها المرويات ليست مثل ما ذكرت من وقائع ، وإذا فرضنا جدلا أنها مثلها من كل وجه ، فإن اليقين لا يستفاد من هذه الوقائع ، فإن المدرس قد يخطئ فيصحح نفسه أو يصحح له غيره , والسفير ترقبه دولته وقد تراجعه فيما بلغ ، وكذلك الأحاديث الصحافية إن ما يحف بها من قرائن النشر والإقرار يجعل الثقة بها أقرب)[1] .

انظر إليه كيف ينسب إلى العلماء ما لم يقولوه ، فمن هم العلماء الذين اتفقوا على العمل بخبر الآحاد في فروع الشريعة فقط ؟ وما هي المقولة التي لم يكن لها رواج بين الفقهاء القدامى؟ إن المعروف والرائج عندهم هو حب سنة رسول الله ﷺ الثابتة عنه واحترامها والاحتجاج بها في كل شأن لا مذهب الجهمية وغلاة المعتزلة المستخفين بسنة رسول الله ﷺ.

ثم انظر إليه كيف يفضل الأخبار [المهنيّه] والسياسية و الصحفية التي قد يكون رواتها كفارا أو فساقا أو جهلة , على أخبار الرسولﷺالمنقولة عن طريق الرّواة المسلمين المختصين والحفاظ الثقات , ويأخذ بالقرائن والإقرار دلائل لصدق هذه الأخبار , ويرفض القرائن التي حفت بسنة رسول الله ﷺ واقرّها العلماء العاملون في الماضي والحاضر , مع خوفهم من الوعيد الشديد على الكذب على رسول الله ﷺ , ومع حرصهم على حفظ سنة رسول الله ﷺ أشد من حرصهم على حفظ حياتهم , ومع رقابة أئمة النقد الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم والتي لا يوجد لها نظير في الأمم.

ويقول : (ونؤكد مرة ومرتين أنه ليس للآحاد أن تشغب على المحفوظ من كتاب الله وسنة رسول الله أو أن تعرض حقائق الدين للتهم).

---

(١) السنة النبوية : ص ٦٥ .

أقول : أي منطق هذا ؟ هل سمعَتْ أذنا مسلم مثل هذا الاستخفاف بسنة رسول الله ﷺ والجرأة عليها ؟ أسنة رسول الله المبينة للكتاب العظيم والمؤيدة له تشغب على القرآن ؟

إن الشاغب على القرآن والمحفوظ من السنة هو قائل هذا الكلام وأضرابه من أهل الفتن والشغب قديما وحديثا , وما أكثر ما يردد هذا الرجل في كتاباته مثل هذا الارجاف على سنة رسول الله ﷺ , [وهو يحسب انه يحسن صنعا].

ويقول محمد الغزالي : (إنى آبى كل الإباء أن أربط مستقبل الإسلام كله بحديث آحاد مهما بلغت صحته ، كيف أجازف بعقائد ملة شامخة الدعائم عندما أقول : لا يؤمن بها من لم يؤمن بهذا الحديث)[1]

أقول : مهد بهذا الكلام لإنكار أحاديث انشقاق القمر الدالة على إحدى المعجزات الكبرى والثابتة بقول الله تعالى : ﴿اقتربت المساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾,ولإنكار أحاديث حَبْس الشمس لأحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الثابتة بالسنة الصحيحة [2] المتلقاة بالقبول من أئمة العلم بالحديث والفقه .

فالرجل يأبي كل الإباء أن يؤمن وأن ينقاد لبعض أحاديث الرسول ﷺ (مهما بلغت من صحّتها) جاهلاً أو متجاهلا عشرات الآيات تأمر بطاعة الرسول ﷺ , وتحذر من مخالفة أمره , وتتوعد مخالفيه بالفتنة أو بعذاب [أليم] , وناسيا أو متناسيا قول الله تعالى : ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين . والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾

---

(١) الطريق من هنا: ص ٦٢، وانظر: ص ٦٨.

(٢) رواه البخاري ٥٧، كتاب فرض الخمس حديث (٢ ٢ ١ ٣) ومسلم فى الجهاد حديث (٣٢).

وجاهلا قول رسول الله ﷺ: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى قال : من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى" [(١)] وأي عصيان أشد من أن تأتيه أحاديث عن متفق على صحته روايتها عن رسول الله ﷺ من طرق الثقات العدول المأمونين في أصح الكتب , فيقول :(إني آبى كل الإباء أن أربط مستقبل الإسلام كله بحديث آحاد مهما بلغت صحته). أي عناد هذا؟ وأي جحود ؟ وأي افتئات على الإسلام والمسلمين أن يظن الغزالي أنه وصي على الإسلام والمسلمين , وكأن الأمة قد ضربت له بجرانها وأسلمت له قيادها ؟ ثم هو يجهل ان كل علماء السنة من أهل الحديث والفقه والتفسير, ومن الأشاعرة, وحتى من المعتزلة وغلاة الشيعة يؤمنون بعجزة انشقاق القمر ويستدلون عليها [بالآية المحكمة] من القرآن وبالمستفيض من أحاديث رسول الله ﷺ , بل ما ادُّعِيَ لها التواتر , ورواها إماما المحدثين في صحيحيهما اللذين تلقتهما الأمة بالقبول , ورواها [غيرهما من] أعلام السنة في كتبهم المعتبرة لدى أمة محمدﷺ غير شرذمة من خلف الجهمية وغلاة المعتزلة والفكريين .

(أحاديث انشقاق القمر في ميزان علماء الأمة) :

قال القاضي عياض :

(إنشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ , وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، قال الزجاج : وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه ، ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى، يفعل

---

(١) البخارى ٦ ٩ - كتاب الاعتصام حديث (٧٢٨٠) وأحمد (٢ / ٣٦١)

فيه ما يشاء، كما يفنيه ويكوره في آخر أمره ، ونسب هذا الإنكار إلى الكفار والمنجمين الذين يعتقدون أن الكواكب هي التي تدبر العالم)[1].

قلت : من المؤسف أن يكون المبتدعة هؤلاء هم سلف الغزالي وقد صرح بالنقل عن أحد غلاة المعتزلة المتهمين بالزندقة وهو:إبراهيم ابن سيار النظّام ، فقال الغزالي :

(ولا يصدنك عن دين الله خبر راو من الرواة حفظ أم نسي , واعلم أن من مفكري المسلمين ومفسري دينهم من اعتبر الانشقاق من أشراط الساعة، وأن من المتكلمين من توقف في أخبار الآحاد، كما قال إبراهيم النظّام : (إن القمر لا ينشقّ لابن مسعود وحده) ، وابن مسعود هو الذي رُوِيَ عنه الحديث المذكور)[2]

ولتعرف إبراهيم النظّام الذي احتج به الغزالي وتابعه في تكذيب الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الذي تتلو مرتبة فقهه في الدين مرتبة فقه الخلفاء الراشدين المهديين , إليك ما يلي

قال الذهبي : (ولم يكن النظّام ممن يفقه العلم والفهم ، وقد كفّره جماعة وقال بعضهم : كان النظّام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث)[3]

وقال الحافظ ابن حجر:

(مُتَّهم بالزندقة) وذَكَر له أقوالا رديئة في الاعتقاد، ثم قال : (وقال أبو العباس في كتاب الانتصار: كان أشد الناس إزراءً على أهل الحديث) .

و محمد الغزالي [تجاوز الله عنه] ينسج على منوال النظّام في الإزراء على الحديث وأهله .

---

(١) إكمال المعالم للأبي : (٧ /١٩٩)، وشرح النووي لصحيح مسلم : (١٧ /١٤٣ -١٤٤) وانظر فتح الباري : (٧ /١٨٥)، وعمدة القارى للعينى : (١٦ /١٣٢). وقد وافق هؤلاء العلماء القاضي عياضاً بل وافقوا [جميع علماء]الأمة في الإيمان بمعجزة انشقاق القمر والتصديق بأحاديثه .

(٢) الطريق من هنا: ص ٦٦.

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٠ /٥٤٢)

وكفاه خذلانا أن يكون أسلافه في محاربة السنة وأهلها : مثل النظام والمنجمين والفلاسفة وغيرهم من أعداء الله وأعداء دينه ورسله . فهؤلاء هم الذين اختار الغزالي الاقتداء بهم وسماهم (مفكري المسلمين ومفسري دينهم).

ثم ليعلم القاريء أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود لم ينفرد برواية الحديث كما يزعم عدّو الله النظّام ، بل رواه جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم منهم : عبد الله بن عمر[(١)] ، وحذيفة بن اليمان[(٢)] ، وجبير ابن مطعم[(٣)] ، وابن عباس[(٤)] ،وأنس بن مالك[(٥)] – وقبلهم عبد الله بن مسعود[(٦)] – رضي الله عنهم جميعا.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى : (٢ /٦٧ ٢)، وقال رواه مسلم في الصحيح وهو كذلك في صحيح مسلم : (٤ /٩ ٥ ١ ٢)، ٠ ٥ – كتاب صفات المنافقين حديث (١ ٠ ٢٨). ورواه الترمذي : (٥ /٣٩٨)، تفسير سورة القمر حديث (٣٢٨٨)

(٢) السيوطى الدر المنثور (٧ /٦٧٢) قال : وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وبن جرير وابن مردويه ، وأبو نعيم ، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن حذيفة ثم ساق حديثه.
والحديث في تفسير ابن جرير عن حذيفة ايضاَ.

(٣) مسند أحمد: (٤ /١ ٨–٢ ٨)، وابن جرير في تفسيره (٧ ٢ /٨٦)، والبيهقي في الدلائل : (٢ /٢٦٨) ، والحديث بإسناد أحمد وابن جرير يرتقى إلى الصحة .

(٤) أخرجه البخاري : (٢ /٥٣٨)، ١ ٦ – المناقب ٧ ٢ – باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية ، حديث (٣٦٣٨)، وطرفاه في (٠ ٣٨٧، ٤٨٦٦) ط السلفية . ومسلم : (٤ /٢١٥٩)، ٥٠ – كتاب صفات المنافقين ، ٨ – باب انشقاق القمر حديث (٢٨٠٣) (٤٨)، والبيهقي في الدلائل : (٢ /٢٦٧)، وابن جرير في تفسيره : (٢٧ /٨٦).

(٥) أخرجه البخاري : (٢ /٣٨ ٥) في الباب السابق ذكره حديث (٣٧ ٦ ٣)، وأطرافه في (٣٨٦٨، ٤٨٦٧، ٤٨٦٨). ، ومسلم : (٤ /٥٩ ١ ٢)، ٨ – باب انشقاق القمر، حديث (٢ ٠ ٢٨) وابن جرير في تفسيره (٢٧ / ٨٤–٥ ٨)، والترمذي : (٥ /٣٩٧)، والبيهقي في الدلائل (٢ /٢٦٢–٢٦٣)

(٦) أخرجه البخارى : (٢ /٣٨ ٥)، ١ ٦ – المناقب ، ٧ ٢ – باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، حديث (٣٦٣٦)، وأطرافه في (٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤ ٤٨٦٥). ومسلم : (٤ /٥٨ ١ ٢، ٩ ٥ ١ ٢)، ٨ – باب انشقاق القمر، حديث (٢٨٠٠) (٤٣–٥ ٤)، والترمذى : (٥ /٣٩٧، ٣٩٨)، وحديث (٣٢٨٥، ٣٢٨٧)، وابن جرير في تفسيره : (٢٧ /٨٥).

قال ابن الجوزي – بعد أن ذكر روايات هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم : (وعلى هذا جميع المفسرين – يعني أهم فسروا قول الله تعالى : ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ بأن القمر قد انشق فعلا معجزة لرسول الله ﷺ، كما بين الله ذلك في هاتين الآيتين الكريمتين) .

ثم قال ابن الجوزي : (إلا أن قوما شذّوا فقالوا: سينشق يوم القيامة , وهذا القول شاذ لا يقاوم الإجماع ، ولأن قوله تعالى : ﴿وانشق ﴾ لفظ ماضٍ ، وحمل لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى دليل و قرينة تنقله ، وليس ذلك موجودا, وفي قوله تعالى : ﴿وإن يروا آية يعرضوا﴾ دليل على أنه قد كان ذلك)[1]

وقال الحافظ ابن كثير: (وقوله : ﴿وانشق القمر﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ ,كما ثبت ذلك ، في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة , وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، أن انشقاق القمر قد وقع في زمان رسول الله ﷺ وأنه كان أحد المعجزات الباهرات)[2].

ثم ساق الحافظ ابن كثير الأحاديث في انشقاق القمر من طرق عن أنس وابن عباس ، وجبير بن مطعم وابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم .

بل هذا شيخ الاعتزال والتأويل الفكري : الزمخشري يقول في تفسيره: (وانشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيرة , عن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن الكفار سألوا رسول الله ﷺآية فانشق القمر مرتين) , وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما قال ابن عباس : (انفلق فلقتين ، فلقة ذهبت وفلقة بقيت) , وقال ابن مسعود: (رأيت حراء بين فلقتي القمر).

وعن بعض الناس أن معناه : ينشق يوم القيامة , وقوله : ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر مستمر﴾ يرده , وكفى به رادّاً، وفي قراءة حذيفة ﴿وقد انشق القمر﴾. بل إن شيخ غلاة

---

(١) زاد المسير: (٨ /٨٨).

(٢) تفسير ابن كثير: (٧ /٤٧ ٤).

الروافض القُمِّي سَلَّم بهذه المعجزة وفَقْاً لنص القرآن ورواية ضعيفة عن أبي عبد الله جعفر الصادق[1].

وبعد أفلا تتقطع نياط القلوب [خوفاً] على أمة يتصدى لقيادتها الدّينية رجل هذه منزلته من العلم [أو الجهل] ,وهذه نظرته إلى سنة رسول الله ﷺالركن الثاني لدين الإسلام , وهذه نظرته إلى حَمَلَتِها.

ملاحظة : من الجدير بالذكر حسب تتبعي لمنهج الأشاعرة أني لم أجد المتقدمين منهم يردون أخبار الآحاد لا في العقائد ولا في غيرها، وانما نجدهم يسلمون بما لا يتعارض مع عقائدهم ، ويتأولون ما يخالفها كما يتأولون نصوص القرآن , وتفريقهم بين الأخبار المتواترة وأخبار الآحاد إنما هو أمر نظري ، ولها جلالها ومكانتها عندهم , وما رأيت أحدا منهم يستخف بأخبار الآحاد أو يحاربها بضراوة كما فعل محمد الغزالي [تجاوز الله عنه].

فإذا نَسَب الغزالي إلى الأشاعرة أو إلى غيرهم من أهل الملة أنهم لا يبنون عقائدهم على أخبار الآحاد فذلك راجع إلى أحد أمرين :

إما أنه جاهل بالواقع الذي كانوا عليه [وهذا أقرب لحسن الظّنّ بأي مسلم],

وإما أنه يعرفه ويسلك مسلك المغالطين لترويج مذهبه وأفكاره الشاذة التي تؤدي [وهو لا يدري]إلى نبذ معظم السنن الصحيحة.

(محمد الغزالي يكيل الشتائم لأهل الحديث)

يأتي الغزالي إلى مسألة لا خلاف فيها بين الأمة فيؤدي به جهله بها وحرصه على محاربة أهل الحديث إلى أن يردّها وينسب إليهم تلك المسألة التي يستبشعها بهواه ويزعم جهلاً أن الفقهاء المحققين قد رفضوها,[وإليك المثال]:

(١) قال الغزالي (وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل ، وهذه سوأة خلقية وفكرية، رفضها الفقهاء المحققون)[2]

---

(١) تفسير القمي : (٢ /٢ ٣٤).

(٢) السنة النبوية : ص ١٩.

وهذه المسألة ذكر إجماع الفقهاء عليها الإمام الشافعي وابن المنذر وابن عبد البر وابن حزم وابن قدامة وابن تيمية، وهي مذكورة في كتب المذاهب الأربعة وغيرها , لا يشيرون إلى أي نزاع فيها .

(١) وقال: (وقد ضقت ذرعا بأناس قليلي الفقه في القرآن كثيري النظر في الحديث يصدرون الأحكام ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة، ولازلت أحذر الأمة من أقوام بصرهم بالقرآن كليل وحديثهم عن الإسلام جريء ، واعتمادهم كله على مرويات لا يعرفون مكانها من الكيان الإسلامي المستوعب لشؤون الحياة)[١] .

قلت : وهو لا يستثني من هذا الطعن وهو بهذا الطعن يقصد الإمام البخاري ، لأنه روى حديث شريك في الإسراء.

وكأنّ الغزالي يصف نفسه , فبصره بالقران والسّنّة والفقه فيهما كليل وحديثه عن الاسلام جريء وأعتماده على الهوى.

أما حديث شريك فإذا رجع الباحث إلى كلام العلماء فيه وجد كلامهم مهذبا ومؤدبا , وما فيه من ألفاظ تحتمل الخلاف بينوها , ولما كانت مع مخالفتها لا تعارض القرآن –كما ظن الغزالي – جعلوا الحديث وجهاً من وجوه تفسير قوله تعالى : ﴿ثم دنا فتدلى﴾ وأكدوه بتفسير ابن عباس للآية : أن رب العزة دنا إلى محمد ﷺ ، وسيأتي توضيح ذلك وتفصيله في موضعه[٢] إن شاء الله .

وقال:(كل ما نحرص نحن عليه : شَدُّ الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه ، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها، مستغرقون في شئون أخرى تعجزهم (عن تشرّب الوحي)[٣]

وطعنه في السلفيين أهل الحديث والأثر كثير وأذاه لهم شديد، تارة بصفة العموم ، وأخرى بالنص على أعلام منهم كالبخاري ، وعبد الله بن أحمد، وابن خزيمة، وأبي داود، والمنذري ,

---

(١) من هذا الكتاب ص ٨٩.

(٢) السنة النبوية : ص ٢٤ .

(٣) الطريق من هنا: ص ٦٦ حيث استشهد بسخرية النظام وتكذيبه لابن مسعود.

ولكن لا عجب فقد طعن في بعض الصحابة، كابن مسعود[1] ، وعبد الله بن عمرو[2] وأبي هريرة، وتميم الداري[3] ، وفي التابعي الجليل نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهم اجمعين.

(جهل محمد الغزالي بمنزلة الصحيحين)

جهله بمنزلة الصحيحين جرأه على الطعن في كثير من أحاديثهما ثم تعقيب الطعن بعبارات مثل : وقد رفض فلان حديث كذا , ورفض الفقهاء والمحدثون هذا الحديث , ثم الطعن والتشهير والسخرية برواة تلك الأحاديث .

فمن تلكم الأحاديث في كتاب (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) وحده :

١- حديث "إن الميت ليعذب ببكاء أهله". ص ١٦

٢- حديث "لا يقتل المسلم بكافر" . ص ١٨

٣- حديث شريك في الإسراء. ص ٢٢

٤- حديث أهل القليب "ما أنتم بأسمع لما أقول الآن منهم ". ص ٢٣

٥- حديث فقأ موسى عين ملك الموت . ص ٣٦

٦- حديث فاطمة بنت قيس في عدم السكنى والنفقة للمطلقة ثلاثا. ص ٣٢

٧- حديث عائشة :(كان الركبان يمرون بنا فإذا أجازوا بنا سدلت إحدانا جلبابها). ص ٤٠

٨- أحاديث الساق والصورة. ص ١٢٧

٩ - حديث "إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة". ص ١٢٧

١٠ - أحاديث الدجال . ص ١٣٢

١١- حديث "كان فيما أنزل عشر رضعات يحرمن" .

١٢- حديث نافع عن ابن عمر في غزوة بني المصطلق. ص ١٠٣

---

(١) هموم داعية : ص ١١٨ الطبعة الأولى.

(٢) السنة النبوية (ص ٢٧) .

(٣) من السنة النبوية : ص ١٢٣ ، قال مشككا في صحة حديثه : (وهو رجل كان نصرانيا فأسلم ثم التقى برسول الله ﷺ وحدثه بأنه لقي الدجال).

١٣- أحاديث القدر ورميه أهل السنة بالجبر , فيقول:(والغريب أن جمهورا كبيراً من المسلمين يجنح إلى هذه الفرية بل عامة المسلمين يطوون أنفسهم على ما يشبه الجبر , ولكنهم حياء من الله يسترون الجبر باختيار خافت موهوم). ص ١٤٤

١٤- حديث البخاري (أعطى رسول الله ﷺ للفارس سهمين) ص ١٣٢

١٥- حديث مسلم عن عائشة في طفل مات من الأنصار (طوبى له عصفور من عصافير الجنة)

١٦- حديث خباب في البناء . ص٨٧

١٧- حديث "يقطع الصلاة المرأة والكلب". ص١٢٨

١٨- حديث نخس الشيطان للمولود . ص٩٧

١٩ – حديث الذبابة . (قذائف الحق ص ١٢٥)

٢٠- حديث انشقاق القمر. (الطريق من هنا ص ٦٦)

٢١- وحديث توقف الشمس لأحد الأنبياء. (الطريق من هنا ص ٦٥)

(محمد الغزالي يرد أحاديث الزهد بالجملة)

إنه يأخذ مجموعة كبيرة منها يضربها ضربة واحدة بجرة قلم , فيقول :

(١) (قرأت خمسين حديثا تُرَغّب في الفقر وقلة ذات اليد، وما جاء في فضل الفقراء والمساكين والمستضعفين وحبهم ومجالستهم .

(٢)كما قرأت سبعة وسبعين حديثا تُرَغّب في الزهد في الدنيا، والاكتفاء منها بالقليل ، وترهَّب من حبها والتكاثر فيها والتنافس .

(٣)وقرأت سبعة وسبعين حديثا أخرى في عيشة السلف وكيف كانت كفافا . ذكر ذلك كله المنذرى في كتابه الترغيب والترهيب وهو من أمهات كتب السنة . ورحم الله المؤلف الحافظ ، وغفر لنا وله ، فهو حسن النية ناصح للأمة بيد أن الفقه الصحيح ، يقتضي منهجا آخر ومسلكا أرشد)[1]

---

(١) السنة النبوية : ص ١١٤ .

لقد تَركَنا الغزالي في حيرة فلا ندري ما هو هذا المنهج والمسلك الأرشد، وقد وجدناه يضيق ذرعا بطبع كتب السنة والتأليف فيها فماذا نصنع [أننتظر من المخدوعين بفكرة بيانا لم يتحقق في حياته]؟ أما المنذري فقد أفضى إلى رحمة الله وما كان أحد من علماء الإسلام يعترض عليه لا سيما وهو قد قام ببيان درجات الأحاديث من صحة وضعف ، ولكن نحن الذين نواجه هذه الحملات الشديدة على السنة وأهلها نريد والله المنهج الأرشد ولا نجد أرشد ولا أهدى من اتّباع سنة نبينا ﷺ

وعن المنهج والمسلك الأرشد اللذين [أخفاهما] عنا الغزالي , ماذا يفعل بالآيات التي تَعُدّ الدنيا لهواً ولعبا وتعدها متاع الغرور؟ وماذا يفعل بالآيات التي تذم المترفين؟ وماذا يفعل بالآيات التي تمدح الفقراء والمساكين فهل يقترح الغزالي لنا منهجا آخر ومسلكا أرشد[غير كتاب الله وسنة رسوله وفقه الفقهاء في دينه]؟

(٤) ويقول : (إن ركاما من الأحاديث الضعيفة ملأ الآفاق الإسلامية وركاما مثله من الأحاديث التي صحت وسطا التحريف على معناها . . . وقد كنت أزجر بعض الناس من رواية الحديث الصحيح حتى يكشفوا عن معناه ، إذا كان المعنى موهما) (١)

هكذا يصف أحاديث رسول الله بأنها ركام – الصحيح والضعيف منها – ومعلوم أن محمد الغزالي تجاوز الله عنه لا يعرف قواعد المحدثين ولا طرقهم في التصحيح والتضعيف ، فقد يكون الحديث صحيحا أو مشهورا أو متواتراً ويحكم هو عليه بالضعف .[ولا أَحَدَ بَعُدّه من أهل الحديث ولا من أهل الفقه إلأ نفسه , ثم هو يفرض نفسه حكماً بينهما].

ثم نسأله عن القرآن ماذا تعمل بكثير من آياته المتشابهة , فالله قد أخبر أن في القرآن آيات محكمات وآخر متشابهات , وأخبر أنه يهدي به كثيرا ويضل به كثيراً فماذا تعمل بالمتشابه من آيات القرآن ؟ هل يُزْجر الناس عن ؟[قراءتها حتى يكشفوا عن معناها]؟

(١) السنة النبوية : ص ١١٩ .

([اقتداء] الغزالي بالإشتراكية الشيوعية)

أُعْجِب الغزالى بما يسميه (الاشتراكية الإسلامية) وألف فيها الكتب والمقالات ودعا إليها بحماس , وافتخر بأنه أول من أطلق على ما يسميه الاقتصاد الإسلامي (الاشتراكية الإسلامية).

وقال محمد الغزالي : (والاشتراكية الإسلامية تعتمد المبادئ الرفيعة أولاً ثم تقيم الأشكال المادية المناسبة لها , وتستعين على ذلك بقوة القانون.

فالأخّوة العامة مبدأ , والدولة مسؤولة عن تنفيذه وعن هدم أي وضع مادي ينافيه . والترف مرض اجتماعي ، والدولة ملزمة بسن أى تشريع مادي يمنعه . والفضائل الإنسانية ضرورة لابد منها، والدولة مسؤولة عن القوالب المادية التي تصوغها لحفظها. وقد يتقاضاها ذلك أن تُقَنَّن على النحو الذي تسير عليه روسيا أو أمريكا, لكن هذه القوانين لن تكون روسية ولا أمريكية مادام الغرض منها والدافع إليها إسلاميا مجردا , ونحن نستطيع بلا مراء أن نبقى مسلمين أوفياء لإسلامنا مهما شَّرعنا لأحوالنا الاقتصادية ما قد يشابه في ظاهره نظام الشرق والغرب)[1]

قلت : ما هذه الحيل والمغالطات؟ شرع إشتراكى لم يأذن الله به تُسَنُّ له تشريعات[لم يأذن بها الله]على النحو الذي تسير عليه روسيا وأمريكا، ثم يقال : إن هذه القوانين والتشريعات لن تكون روسية ولا أمريكية . هذا يعني أن نأخذ أى قانون شيوعي أو رأسمالي بحجة[القرض و]الدافع الإسلامي ونسمّيه إسلامياً , فأين دعوى الحكم بما أنزل الله ونبذ القوانين الوضعية ؟ الإسلام المفترى عليه بين الشيوعين والرأسماليين ص ٩ .

وقال محمد الغزالي مقتدياً باشتراكية [الشيوعيين أكثر من]ديمقراطية [الرأسماليين]: (منذ تعقدت المشاكل الاقتصادية واتصلت حلولها المباشرة للدول والشعوب ، فكّر رجال الإسلام في أمرها تفكيرا ينطوي على الإخلاص للدين والتيقظ للواقع .[وهو يعني برجال الإسلام : نفسه وأمثاله] .

ومما له دلالة رائعة أن نتائج الفكر الإسلامي كانت متشابهة رغم تقطع الصلات بين الرجال الذين عالجوا قضية الاقتصاد العام وحكم الإسلام فيها: منذ شهر جاءتني عدة رسائل علمية للأستاذ المودودي رئيس الجماعة الإسلامية بباكستان وقد قرأها مثنى وثلاث ، فما كان

أشد دهشتي للتقارب العجيب ، بل التوافق الحرفي بين أسلوب إخواننا في الهند وما انتهوا وانتهينا إليه من مقترحات وحلول .

وهكذا تمت الموافقات[1] بين ثمار بحثنا هذا وبين ما استقر عليه جهاد إخواننا في الشام ، فقد استطاعوا إدخال مباديء هامة للإصلاح الاقتصادي في صلب دستورهم الجديد، خاصة بتوزيع الأراضي والملكية الزراعية أصبحت الأرض به لمن يفلحها، لا لمن يملكها، وصار من حق الدولة هنالك أن ترفع يد المالك المهمل عما لديه من أرض لا يعمل فيها.

وقد وصفت الأهرام هذا الدستور بأنه وثيقة تقدمية , ونحن نصفه بأنه كسب محدود للجبهة الاشتراكية الإسلامية , بلى إنه محدود، لأن دائرة الإصلاح الإسلامي أوسع مدى مما يظنه الكثيرون

وقد بسطنا فلسفة الاشتراكية الإسلامية، وذكرنا أطرافا من برنامجها الضخم في عِدة كتب صدرت ونشرت فصولا منذ سنين :(الإسلام والأوضاع الاقتصادية) ، (الإسلام والمناهج الاشتراكية) (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين) .

أقول : وإذا كان هذا كسبا محدودا مع أنه قد تضمن أن الأرض لمن يفلحها لا لمن يملكها، وأن دائرة هذا الإصلاح المسمى بالإسلامي أوسع مما يضنه الكثيرون ، فلعلّ هذه الاشتراكية [ستزداد مزاحمة للفقه في الدين] .

قال :(ومن هذا البرنامج الضخم والدائرة الواسعة :

(١) تأميم المرافق العامة وجعل الأمة هي المالكة الأولى لموارد الاستغلال .

(٢) تحديد الملكيات الزراعية الكبرى وتكوين طبقة من صغار الملاك تؤخذ نواها من العمال والزارعين .

(٣) فرض ضرائب على رؤوس الأموال الكبرى يقصد بها تحديد الملكيات غير الزراعية .

---

(١) مادام المنهج واحدا لحزب الاخوان المسلمين في مصر والشام والجماعة الاسلامية في الهند والباكستان والحَكَم : جريدة الاهرام والدستور السوري , فلا عجب إذا (تمت الموافقات) بين مبتدعة الفكريين والحزبين وبين الاشتراكيين.

(٤) فرض ضريبة تصاعدية على التركات تنفق في وجوه الخير على النحو الذي أشار به القرآن : ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا﴾

قلت : نستغفر الله , ما شأن الآية بفرض الضرائب التصاعدية بالقوة ؟ على أن في الآية قولان لأهل العلم لا أهل الفكر قيل : أنها منسوخة بآيات المواريث . وقيل : أنه ينبغي من باب البر والتطوع أن يُرْضخ للورثة للمذكورين في الآية شيئا تطيب به أنفس الورثة .

ثم يقول : (ويجب أن تتضخم ميزانية الدولة لتنفيذ هذا المنهاج , فلا يجوز أن تكون هناك عوائق اقتصادية تحول دون أن تنتفع به الأمة وترتفع ، ولو لم يبق لكل فرد من أفراد الشعب إلا قوته الضروري لما جاز أن تتراجع الدولة في تحقيق هذا البرنامج الذي تعلن به الحرب على الظلم والجهالة والاستعمار) . [١]

قلت : يريد محاربة الظلم الخيالي بظلم حقيقي أشد وأنكى منه , وهذا شيء لم يشرعه الرسول ﷺ ولا صحابته الكرام ولا أئمة الإسلام [حتى جاء سيد قطب ومحمد الغزالي تجاوز الله عنهما فشرعا من الدّين ما لم يأذن به الله, وسنّا للثّوريّين العرب سنة سيّئة في الحكم بغير ما أنزل الله باسم الإسلام].

(اقتداء الغزالي بالديمقراطية العلمانية)

اقتفى الغزالي أثر دعاة تحرير المرأة مطالبا بحقوق للمرأة يزعم أنها قد منحها إياها الإسلام , ويتجنى على جماعة المسلمين وعلى العلماء بخاصة بما يكذبه الوحي والفقه من أهله.

(١) فهو يرى المساواة بين الرجل والمرأة في الدية [بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير] فيقول : (وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل ، وهذه سوأة خلقية وفكرية رفضها الفقهاء المحققون ، فالدية في القرآن واحدة للرجل والمرأة، والزعم بأن دم المرأة أرخص وحقها أهون زعم كاذب مخالف لظاهر القرآن)[٢] .

---

(١) انظر: اوضاعنا الاقتصادية : ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) السنة النبوية : ص ١٩

وهو في قوله هذا ظالم لأهل الحديث , قائل على الله وعلى الإسلام والقرآن بغير علم ومخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة , وسيأتي توضيح ذلك لاحقاً في في هذا البحث إن شاء الله [١]

وإنما أُتِيَ الرجل في نظري من تأثره بالحضارة [الصناعيّة]وغلُوها في المساواة بين الرجل والمرأة تأسيا أو متناسيا ما تقرر في القرآن والسنة من التفاوت بينهما.

فان الله تعالى قد فاوت في القرآن وفي السنة بين الرجل والمرأة في الميراث والعقيقة والشهادة والقوامه والجهاد والعقل .

(٢) وفي مجال الحُكْم يرى الغزالي أن للمرأة أن تتولى المناصب العليا في الدولة عدا الخلافة فيقول : (وللمرأة ذات الكفاءة العلمية والإدارية والسياسية أن تلي أي منصب ماعدا الخلافة العظمى)[٢]

ولكنه يقول عن أهل أوروبا – يعني لو أسلموا وفق شرعه المبتدع ودعوته المبتدعة – :

(وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة فلهم ما شاءوا ولنا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك)[٣]

وعلى هذا فيجوز عنده أن تكون المرأة الأوربية المسلمة ملكة أو رئيسة جمهورية أو رئيسة وزراء أو وزيرة أو قاضية أو نائبة أو قائدة جيش .

وهو بهذا الرأي يخالف إجماع الأمة ويخالف سنة رسول الله ﷺ القولية والعملية، ويخالف عمل الخلفاء الراشدين , ويتعلق بقول شاذ [شذوذ فكره] .

ثم نبحث وجهات النظر الفقهية التي يزعمها , ومن هم الفقهاء الذين سبقوه إلى هذا الرأي وما هي أدلتهم , فلا نجد شيئاً إلاّ إن كان يرمي الى رأي أبي حنيفة رحمه الله أن المرأة تقضي فيما تصح فيه شهادتها[٤] فشتان بين القولين ومع أن قول أبي حنيفة رحمه الله ضعيف لا دليل عليه [من الكتاب ولا من السّنّة]فإنه لا يريد به منصب القضاء.

---

(١) من ص ٩٨ – ١٠٥ . يتأكد من ارقام الصفحات بعد التهذيب ص(٥٣)

(٢) سر تأخر العرب والمسلمين : ص ٤٨.

(٣) السنة النبوية : ص .

(٤) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى : (ص . ٦ مع الحاشية) .

وعلى كلٍ فإن قول الغزالي بعيد جدا عن أحكام الإسلام وعن أقوال أئمة الإسلام. وأدلته إنما هي نظريات الأوربيين وتقاليدهم وتقاليد من نهج نهجهم ، ألم يقل:(فإنه يجب علينا أن نختار للناس أقرب الأحكام إلى تقاليدهم)

ولعل هذا النوع عنده من الأساسيات التى يستخف بالسنة وأهلها من أجلها، ويسمّيها السنة قشورا.

ومن هذا المنطلق تراه يلهج بذكر الملكة فكتوريا النصرانية ورئيسة الوزراء تاتشر النصرانية وكولدا مائير اليهودية وأنديرا غاندي الهندوكية وبندرنايكا البوذية ضارباً عرض الحائط بسنة رسول الله ﷺ : "ما أفلح قوم وَلَّو أمرهم امرأة " . والسنة التي فهمها وقررها خلفاؤه الراشدون و فهمها وقررها من حذا حذوهم من فقهاء الأمة إلى يومنا هذا.

لو كان ما يقرره الغزالي من أن من حقوق المرأة المسلمة في اوروبا أو غيرها تولي المناصب حقّاً لكان رسول الله ﷺ أول مُنفّذ لها , ولتابعه في تنفيذها بعزم وقوة خلفاؤه الراشدون ولحطم الحواجز والسدود الجاهلية إن كان حرمان المرأة من هذه المناصب من أمور الجاهلية كما يظن محمد الغزالي . لقد حطم الإسلام كافة العادات الجاهلية السّيّئة ومن ذلك عادة الظهار والتبني وما يقوم على التبني الجاهلي من التوارث وتحريم زواج المتبنّي من مطلقة المتبنّى مثلاً , وأعطى المرأة حقوقها اللائقة بها بكل ما في التشريع والتنفيذ من عدالة وحكمة .

ولو كانت المناصب الكبيرة والصغيرة في الدولة من حقوق النساء لما توقف رسول الله ﷺ عن بيانها وتوضيحها وتنفيذها بعزم وقوة، ولرأينا فلانة أميرة مكة، وفلانة أميرة اليمن , وفلانة قاضية بلدة كذا , وفلانة قائدة الجيش الفلاني إلى جانب معاذ وعمرو بن العاص وعتاب بن أسيد والعلاء بن الحضرمي وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة , ولرأيناهن في الخلافة الراشدة يزاحمن أو يسبقن الرجال في مناصب الإمارة والقضاء إذ أن هناك نوابغ من النساء في عهد الرسول والخلفاء الراشدين من لا يأتي عليهن العد مثل عائشة وأم سلمة وأم سليم وأسماء بنت عميس وهند بنت عتبة، وغيرهن من نساء المهاجرين والأنصار , وزينب ونفيسة وعمرة بنت عبد الرحمن وعائشة بنت طلحة وفاطمة بنت عبد الملك وغيرهن ممن يفقن كثيرا من الرجال علما وعقلاً وذكاء وأدبا.

وإذا كان الغزالي قد آمن بالاشتراكية الشرقية والديمقراطية الغربية فقد كان عليه أن يصدع بذلك بشجاعة ووضوح دون إلصاق أي منهما بالإسلام فلن تمتد إليه يد , لأن الإسلام الحق غريب وأهله غرباء [منذ انتشار ما يسمى زوراَ : الفكر الإسلامي والأحزاب الإسلامية] .

(٣) وفي مسألة الحجاب يقول الغزالي : (وقد دهشت لان عالما من شنقيط وقف في المسجد النبوي يقول أثناء درس له : إن مالك بن أنس يقول : إن وجه المرأة ليس بعورة وأنا أخالف مالك بن أنس .

قلت : ليس مالك وحده الذي يقول هذا القول بل سائر الأئمة الأربعة إلا رواية واهية عن أحمد بن حنبل تخالف المقرر من مذهبه ، كما حكى ذلك ابن قدامة الحنبلي.

والشيخ الشنقيطي غفر الله له حين يخالف أو يوافق ما يقدم أو يؤخر. وذكرت قول الشاعر:

يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند

أقول : إذا كان الشيخ العلامة الشنقيطي بهذه المنزلة في نظر الغزالي فما منزلة العلماء الآخرين عنده ؟ ما رأيت أحداً يتطاول بنفسه القاصرة إلى [وعلى]منازل علماء الأمة العالية مثل هذا الغزالي [تجاوز الله عنه] .

وإن كل من يعرف الاستاذ محمد الغزالي والشيخ محمد الأمين الشنقيطي لحريّ أن يقول للغزالي : ما أنت أمام هذا العالم العظيم إلا :(كالهرّ يحكي انتفاخا صولة الأسد), نعوذ بالله من الكبر والغرور .

كيف ظن أن خلاف مثل هذا العلامة العلم لا يقدم ولا يؤخر وخلافه هو المقدم والمؤخر؟

فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ثم يقول : - (إن الإسلام لا يؤخذ من أصحاب العقد النفسية سواء كانت غيرقمم عن ضعف جنسي أو شبق جنسي)[١] أترك الحكم على هذا القول وقائله للقاريء الشريف بميزان الأخلاق والآداب الشرعية . وهل يرى القاريء أن من يستخدم مثل هذه الألفاظ والأساليب السّوقية في الخلافات العلمية حتى لو كانت مرجوحة يصلح لأن يمثّل الإسلام أو المسلمين أو يعدّ نفسه من العلماء أو الدعاة؟

---

(١) هموم داعية: ص ١٤٣ .

ويقول متهما علماء الإسلام عموما وأهل الحديث خصوصا بتعمُّد الخيانة :(وقد لاحظت عند تجديد الوضع الاجتماعي للمرأة أنه ما يجيء حديثان في قضية تتصل بها إلا أُخِّر الصحيح وقُدِّم الضعيف)[1]

ويقول عن زيارة المرأة القبور ورؤية الرجال النساء : (ورؤية المرأة للرجال مع غض البصر ترويها أحاديث صحيحة ولكن بعض أهل العلم يطوون ما صح ، وينشرون آثارا واهية أن المرأة لا ترى الرجل ولا يراها الرجل)[2]

ويقول في شأن المهور: (والأصل في المهور التيسير وسنته ﷺ في نسائه وفي بناته التيسير، والأحاديث في ذلك كثيرة، ولكن هذه الأحاديث الكثيرة طويت طيا وانهزمت أمام رواية جاءت أن امرأة جادلت عمر بن الخطاب في زيادة المهور وهزمته مستشهدة بقوله تعالى : ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا﴾.

أقول : فمن الذي طوى هذه الأحاديث الكثيرة ؟ لا أدري أيتهم بذلك أهل الحديث خاصة أم يشرك معهم في ذلك الفقهاء وسائر العلماء؟ لا ندري ولعلّه هو لا يدري فهو دائم الغموض قليل الإفصاح ولا يظهر منه غير الإرجاف والتهويش .

(٤) ويقول عن السفور : (إن الشاغبين على سفور الوجه يظاهرون رأيا مرجوحا ويتصرفون في قضايا المرأة كلها على نحو يهز الكيان الروحي والثقافي والاجتماعي لأمة أَكَلَها الجهل والاعوجاج ، كما حَكَمَتْ على المرأة بالموت الأدبي والعلمي)[3]

(تخلّف محمد الغزالي في البحث العلمي)

البحث العلمي [الحديث] يسلك طرقا أمينة تعزو المعلومات الحديثية والفقهية وغيرها إلى قائلها وتوثّقها بذكر الكتاب والجزء والصفحة من مراجعها.

لكن الغزالي في مؤلفاته بعيد كل البعد عن استخدام هذه الوسائل التي تقرب للكاتب وللقاريء البعيد وتذلل له الصعب , فكأنه يعيش في غير عصره , ولعله استوعر هذا الطريق لأنه يكلفه جهداً ووقتا, ويحول بينه وبين دعاواه , ويحول بينه وبين الإنتاج السريع القائم على تكرار

---

(١) هموم داعية: ص ٢٨ .

(٢) هموم داعية : ص ٢٨.

(٣) السنة النبوية : ص ٤١ .

الآراء الظنّية التي ملأ بها أكثر مؤلفاته , فيكتفي بمثل : قال المحققون , وقال الفقهاء المحققون , وقال مفكروا الأمة ومفسروا دينها .[وفكر رجال الإسلام ونحو ذلك].

(تناقض محمد الغزالي)

ما يقرره الغزالي باسم الإسلام في كتاب من كتبه ينقضه بأسم الإسلام في كتاب آخر أو في الكتاب نفسه , وإليك المثال [من أمثلة كثيرة]:

(١) في كتابه (من هنا نعلم) : إلى أن يقول : (والقضاء منصب له جلاله ، وللقاضي على الناس ولاية عامة وسلطان واسع ، فإذا كان الإسلام يجعل الرجل قواماً على المرأة في البيت وهو المجتمع الصغير فكيف يجعل للمرأة قوامة على الرجال في المجتمع الكبير.

ولا شك أن للمرأة حقا كاملا غير منقوص في تدبير شأنها وإنفاق مالها واختيار رجلها، وحريتها في أحوالها الخاصة كحرية الرجل ، بيد أن للقضايا المتصلة بكيان الأمم ومصالح الجماهير وضع آخر ينزل استعداد المرأة دونه , ولذلك قال رسول الله ﷺ لما بلغه أن الفرس ملكوا عليهم امرأة: " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " .

وستظل المرأة هي اليد اليسرى للإنسانية وسيظل عملها في البيت[أكثر] من عملها في الشارع ، وسيظل الرجال حمالي الأعباء الثقال في الشئون الخاصة والعامة، لأن طاقة كل من الجنسين هكذا!

ولأمر ما لم يرسل الله نبية من النساء ولم يحك التاريخ إلا شواذ من الجنس الناعم قمن بأعمال ضخمة، على حين شحنت صفحاته بأسماء الرجال .

فلماذا لا تكرس المرأة جهودها وتسخّر مواهبها لتجعل من نفسها ظهير الرجل وعونه ، وأن تقف في الصف الثاني بدلا من مزاحمة الرجال في الصف الأول . وتكليف الإسلام أن يعينهن قاضيات أو وزيرات ظلم للطبيعة وافتيات على المصلحة).

وقال : (قرأنا لأستاذة محامية جربت الأعمال العامة وأدركت ما سوف تعانيه[المرأة] لو أسندت لها أعمال النيابة والقضاء , فكتبت تنصح بنات جنسها معلنة لهن هذا الرأي الحكيم .

قالت الأستاذة عزيزة عباس عصفور المحامية : (لو كانت الخطوة التى خطاها معالي وزير العدل بتعيين الحقوقيات في نيابات الأحداث كسبا للمرأة لكنت أول من تدعو الله أن يبارك للمرأة فيها.

أما وإنني ممن خرجتهن كلية الحقوق في الأفواج الأولى وزاولت المحاماة أكثر من عشر سنين ، ونجحت فيها نجاحا أحمد الله عليه وبلوت فيها حلاوتها ومرارتها معا، فإني أعلن في صراحة أن النيابة والمحاماة تتنافيان مع طبيعة المرأة، وتتعارضان مع مصلحتها , وأعلن إشفاقي على البقية الباقية من فتياتنا المثقفات اللاتى مازلن بخير : ألا يجربن هذه التجربة المريرة المضنية, وأهيب بهن أن ينجون بأنفسهن من عاقبة لا يدركن مرارتها إلا بعد أن يقعن فيها ويهدمن بأيديهن صرح سعادتهن .

لقد تحطمت أعصابنا – نحن المحاميات – من إرهاق المهنة وعنتها ,ومن محاربتنا للطبيعة وتنكبنا الواقع ، فما ظننا بالنائبات) . واستمرت في بيان المفاسد والمشاكل والمخازي المترتبة على عمل المرأة إلى أن قالت : (إن رسالة المرأة في الحياة لها جلالها وقدسيتها التي لا تعادلها حقوق تمنحها ولا امتيازات تعطاها وإن كثرت ، إن رسالتها أن تكون زوجة صالحة وأما رؤوما يتربى في أحضانها وبين ذراعيها مستقبل الوطن العزيز, ولَقُروية ساذجة في حجرها طفل أفضل للأمة وأنفع للبلاد من ألف نائبة وألف محامية).

فهل ثبت الغزالي على موقفه هذا الصحيح الموافق للكتاب والسنة و عمل الصحابة والتابعين وجمهور علماء الإسلام ؟.

الجواب : لا، لأن ضغط الأفكار الغربية وأنصار المرأة جعلته يغير رأيه ليصبح حامل لواء دعوة[من يسمون أنفسهم] أنصار المرأة المطالبين لها بما لم يعطها الإسلام – رحمة بها وصونا لها ومراعاة لطبيعتها وفطرتها– .

استمع إليه يقول بعد كلام يخلط فيه الحق بالباطل : (وقبلْتُ شهادة المرأة في جميع القضايا المدنية والجنائية في حدود النصاب المشروع ، ولم أفهم وجها لمنعها من الشهادة في الحدود والقصاص ، وأيدت في ذلك الفقه الظاهري .

وللمرأة ذات الكفاءة العلمية والإدارية والسياسية أن تلي أي منصب ما عدا الخلافة العظمي وتستشار وتشير)[1]

ويقول : (وإذا كان الفقهاء المسلمون قد اختلفت وجهات نظرهم في تقرير حكم ما، فإنه يجب علينا أن نختار للناس أقرب الأحكام إلى تقاليدهم ، والمرأة في أوربا تباشر زواجها بنفسها

(١) سر تأخر العرب والمسلمين : ص ٤٧ – ٤٨ .

ولها شخصيتها التي لا تتنازل عنها، وليست مهمتنا أن نفرض على الأوروبيين مع أركان الإسلام رأي مالك أو ابن حنبل ، إذا كان رأي أبي حنيفة أقرب إلى مشاربهم ، فإن في هذا تنطعا أو صدا عن سبيل الله ،

وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة فلهم ما شاءوا , ولدينا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك فلم الإكراه على رأي ما ؟

إن من لا فقه لهم يجب أن يغلقوا أفواههم لئلا يسيئوا إلى الإسلام بحديث لم يفهموه أو فهموه وكان ظاهر القرآن ضده) .

انظر إلى هذا الرجل كيف يختار للناس عند النزاع الأقرب إلى تقاليدهم الجاهلية والأقرب الى مشاربهم وأهوائهم , وينسى أمر الله بالرّد [عند التنازع]إلى الله ورسوله بفهم وعمل الصحابة بل يوجب على اهل الحديث إغلاق أفواههم لئلا يسيئوا للإسلام بحديث لم يفهموه أو فهموه لكنه يخالف ظاهر القرآن .

أنظر إليه كيف يوهمه الغرور بأن أهل أوربا وأمريكا سوف يسلمون نتيجة لدعوته [المخالفة لمنهاج النبوة] ويتبعون شرع الله إلا ما يتعلق بقضايا المرأة فإنهم سيؤثرون فيها عاداتهم وتقاليدهم , وقد يقطع عليهم أهل الحديث طريق الإسلام إذا دعوهم إلى ما كان عليه النبي ﷺ واصحابه رضي الله عنهم فيما يتصل بأحكام المرأة .

(٢) ومن تناقضاته حملاته على ما يسميه أخبار الآحاد من سنة رسول الله ﷺ ولو صححها البخاري ومسلم مع قبوله للأخبار الضعيفة والحكايات التافهة .

(٣) ومن تناقضاته أنه يزعم ظلما أن أهل الحديث يطعنون في الأئمة الأربعة وفى الفقهاء ,ثم تراه يسفه آراء[بعض الأئمة الفقهاء والمحدثين],

ومن شغبه على الإمام الشافعي والإمام أحمد وأتباعهما وأئمة أهل الحديث قوله : (ومن الدهماء من يهتم بقضية رفع اليدين قبل الركوع وبعده أكثر مما يهتم بتوفير الخشوع والقنوت بين يدي الله سبحانه وتعالى)[١] . ولعلّه يجهل أسماء بعض من سماهم بالدهماء. فقد ألف الإمام البخاري كتاب رفع اليدين في هذه القضية وادعى لأحاديثها التواتر, وذكر السبكي أن الشافعي يرى وجوب رفع اليدين في المواضع المذكورة .

---

(١) السنة النبوية : ص ٦٤ .

(٤) ومن تناقضاته قوله : (ويعلم الله أني – مع اعتدادي برأيي – أكره الخلاف والشذوذ وأحب السير مع الجماعة، وأنزل عن وجهة نظري التي أقتنع بها بغية الإبقاء على وحدة الأمة.[١]

وأقول : يعلم الله أني قلما رأيت رجلا ينتمي الى السنة يعشق الخلاف والشذوذ عن عقيدة وفقه أهل السنة مثله ، و لم أر رأياً تنازل عنه لأجل وحدة الأمة .

فأنت تراه يرد – فيما ذكرت لك – كل ما خالف هواه , أو يتأوله تأويلا بعيداً إن كان نصاً قرآنيا, ولا يبالي بما يخالف رأيه ولو كان إجماعا أو قول جمهور الأمة

(استغناؤه بالهجوم العنيف عن ادب الحوار)

[يرى] القارىء أنه ليس لدى الغزالي من العلم بالأدلة ما يساعده على مقارعة الحجة بالحجة كما أنه ليس لديه الاستعداد للبحث والتدقيق، فيلجأ إلى الهجوم العنيف المصحوب في كثير من الأحيان بالسخرية والتحقير, يغطّي به نقصه في العلم والخلق [تجاوز الله عنه] .

وأخيرا : فإني أرى أن في فكر الغزالي شرّ على الإسلام والمسلمين,[بل هو — في رأيي] امتداد لبعض الدعوات المنحرفة , فهو امتداد للاشتراكية والديمقراطية، وامتداد للدعوة إلى تحرير المرأة , وامتداد لدعوات خصوم السنة من غلاة الجهمية في السابق ،وامتداد لدعوة أبي رية وأمثاله من أتباع المستشرقين في اللاحق ، وامتداد لفكر المعتزلة في القدر ورمي أهل السنة بالجبر والتهويش على الأحاديث التي تثبت القدر وفي الوقت نفسه تنفي الجبر.

ولما كان الرجل يصر على أنه من أهل السنة والجماعة بقوله : (وأوكد أولا وآخراً أنني مع القافلة الكبرى للإسلام , هذه القافلة التي يحدوها الخلفاء الراشدون والأئمة المتبعون والعلماء الموثقون)[٢]

فقد كان عليه إعلان براءته من كل هذه الامتدادات الغريبة والخطيرة على الإسلام , وكان عليه إعلان توبته إلى الله من أفكار ظل يخدمها ويدعمها طوال خمسين عاماً.

فإذْ لم يفعل فاني أخشى أنه مع القوافل الأخرى التي ظل يخدمها ويدعو إليها باسم الإسلام والإسلام منها براء، (والقافلة الكبرى للإسلام) في واد , وهو في وادي تلك القوافل.

---

(١) السنة النبوية : ص ١ ٤ .

(٢) السنة النبوية : ص١١-١٢

(من أخطاء الغزالى في كتابه : السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)

لنأخذ من هذا الكتاب بعض المطاعن التي وجهها إلى بعض الأحاديث والى خيار هذه الأمة : السلفيين أهل الحديث . وأرجو الله أن يوفق من يقوم بهذا الواجب على الوجه الأكمل ، كما أرجوه أن يوقظ النائمين ، وأن يزيل الغشاوة عن أعين المخدوعين من هذه الأمة، وأن يرزقهم البصيرة النيرة التي تقودهم إلى معرفة الحق واحترامه واتباعه ، وتدفعهم إلى نصرته , وأرجوه سبحانه أن يجنبهم التعصب المقيت ، الذي يقوم سدّاً بينهم وبين إدراك الحق ، وإيثاره على الباطل وأهله ,كما أسأله أن يجنبهم اتباع الفكريين والورّاقين, إن ربي لسميع الدعاء.

([شغب الغزالي على العلماء وطلاب العلم الشرعي])

[يقول تجاوز الله عنه]: (وشرع أنصاف وأعشار المتعلمين يتصدرون القافلة ويثيرون الفتن بدل إطفائها, وانتشر الفقه البدوي ، والتصور الطفولي للعقائد والشرائع . وقد حاولت في كتابي (دستور الوحدة الثقافية) أن أقف هذا الانحدار، بيد أن الأمر يحتاج إلى جهود متضافرة، وسياسة علمية محكمة .

وفي هذا الكتاب جرعة قد تكون مُرَّة للفتيان الذين يتناولون كتب الأحاديث النبوية، ثم يحسبون أنهم أحاطوا بالإسلام علما، بعد قراءة عابرة أو عميقة .

ولعل فيه درسا لشيوخ يحاربون الفقه المذهبي لحساب سلفية مزعومة عرفت من الإسلام قشوره ونسيت جذوره)(١)

أقول : إن إساءات الغزالي إلى السلفيين ، ومنهجهم في العمل [والعلم والدعوة وفق الوحي بفهم السلف]لا يكاد يقف عند حدّ.

وله كلام في (دستور الوحدة) (٢) يعيّن من هم المقصودون بهذا الطعن ، ومن هم أصحاب الفقه البدوي ، والتصور الطفولي للعقائد والشرائع .

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث : ص ١١ .

(٢) ص ١١٣.

قال : (ورأيت ناساً تغلب عليهم البداوة والبدائية، ويكرهون المكتشفات العلمية الحديثة، ولا يحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الإسلامية وحماية تعاليمها، ويرفضون الحديث في التلفزيون مثلاً، لأن ظهور الصورة على الشاشة حرام ، ويتناولون المقررات الفلكية والجغرافية بالهزء والإنكار. وهؤلاء في الحقيقة لا سلف ولا خلف ، وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد.

ورأيت أناسا يتبعون الأعنت فالأعنت ، والأغلظ فالأغلظ من كل رأي قيل ، فما يفتون الناس إلا بما يشق عليهم ، ويؤخر مسيرة المؤمنين في الدنيا، ويأوي بهم إلى كهوفها المظلمة، وهؤلاء لا خلف ولا سلف ، إنهم أناس في انتسابهم إلى علوم الدين نظر، وأغلبهم معتل الضمير والتفكير)

أقوال : إن كل منصف [يرى] آثار الدعوة السلفية العظيمة في الجزيرة العربية[واضحة] فيما يأتي:

١- في القضاء على الفتن وأسباب التفرق المذهبي والقبلي التي رانت على الجزيرة العربية قرونا متطاولة، وفي عهود مختلفة .

٢- في نشر التوحيد والسنة واستئصال شأفة الشرك والخرافات والبدع [وأشنعها دعاء أهل القبور والمقامات والمزارات والأضرحة].

٣- في نشر العلم والوعي ، والقضاء على الجهل والتخلف ، بإنشاء المدارس [والمعاهد والكليات] والجامعات في مختلف المجالات : الدينية والعسكرية والاقتصادية والتقنية , ومدارس وكليات البنات المستقلة على طراز لا نظير له في الحفاظ على عفة المرأة وصيانتها من [أخطار] الاختلاط.

٤- في التقدم الزراعي والصناعي والاقتصادي والعمراني، واستخدام أرقى ما وصلت إليه الصناعة الحديثة في مختلف المجالات ، إلى أن وصل هذا البلد المبارك في ظلال المنهج السلفي السمح الواعي إلى مستوى يحسد عليه.

وأسأل المخدوعين بفكر الغزالي:

أصحيح أن سلفية الشيوخ الأجلاء وعلى رأسهم ابن باز رحمه الله سلفية مزعومة، عرفت من الإسلام قشوره ونسيت جذوره ؟

إن أحكام الإسلام في الاعتقاد والعبادات والمعاملات أعز لديهم وأجل عندهم من أن يكون فيها قشور، فإنهم يعتقدون: أن خير الهدى هدى محمدﷺ

وعندهم :" الإيمان بضع وستون ، أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" هذه الشعب كشعب الشجرة الطيبة المباركة .

وهم يدعون إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في دروسهم ومؤلفاتهم ومناهجهم في الاعتقاد (الذي لم نر للغزالي اهتماماً به) من غير تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ، إيمانا معتمدا على الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة . ومعتمدا على [فقه]السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، وأئمة الهدى، بعدهم مما حفظته امهات كتب التفسير والحديث والفقه المشهورة المتلقات بالقبول في مشارق الأرض و مغاربها، وعلى امتداد الزمان ، جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا, [وأظهر الله ثمرة اهتمامهم بإفراد الله بالعبادة فلم يبن مسجد على قبر في هذه الدولة المباركة وحدها منذ ثلاثة قرون].

وهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، [ويدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويحكّمون شرع الله في كل مسائل الاعتقاد والعبادة وجل مسائل المعاملة] .أهذه كلها جذور أم قشور ؟

وقال الغزالي : (ورأيت ناسا تغلب عليهم البداوة والبدائية ويكرهون المكتشفات العلمية الحديثة، ولا يحسنون الانتفاع بها . . .) إلى قوله : (وهؤلاء لا سلف ولا خلف ، وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد) (١)

وأقول :

١- أصحيح أنه رأى أناساً تغلب عليهم البداوة والبدائية ؟ أم رأى علماء ربانيين ,[يدعون الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة , ويدعونهم لإفراد الله بالعبودية ونفيها عمن سواه, ويدعونهم إلى الإتباع وينهونهم عن الابتداع]؟

(١) إن الذي يحتاج دماغه إلى تشكيل جديد: هو من يلقى الكلام على عواهنه ، ، ويخبط خبط عشواء بلا علم ولا هدى ويتبع هواه وشيطانه.

٢- وهل رأى أناساً يكرهون المكتشفات العلمية الحديثة , الكهرباء والهاتف , والطائرات والسيارات ، والأجهزة الالكترونية، والأدوات المكتبية، ويفتون الناس بكراهتها ويحذرون منها وينذرون ؟

وهل رآهم ينكرون المقررات الفلكية والجغرافية كلها وهي لا تحصى؟

لعل من أسباب هذه الحملات الشاملة : أن عالماً جليلاً جمع الله له من العلم والعمل والكرم والسماحة وحسن الخلق عامة مالم يجمع لغيره , أنكر دعوى (أن الشمس ساكنة لا تتحرك وأن الأرض تدور حولها), واستدل لوجهة نظره بآيات من الكتاب، وأحاديث من السنة الصحيحة ، كما هو شأن العلماء , لأنه يربأ بنفسه عن أن يكون إمّعة يقول : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .

وما قرره من إثبات أن الشمس تجري هو الحق ، الثابت بنص القرآن وعلماء الشريعة لا يتسرعون بتصديق نظريات الفلكين ، ولو كانوا من المسلمين . قال جلال الدين المحلي في تفسير سورة الغاشية : (قوله : ﴿سطحت﴾: ظاهر في أن الأرض سطح ، وعليه علماء الشرع ، لا كرة كما قال أهل الهيئة، وإن لم ينقض ركناً من أركان الشرع).

وإذا رجع القاريء إلى كتب فحول المفسرين لا يجد فيها أن الأرض كروية , فهل يحط هذا من منازلهم ويجعلهم بدواً وبدائيين ؟ كلا ، بل لا يرقى إلى أدنى منازلهم كل علماء الفلك من المسلمين فضلاً عن غيرهم.

وفي الحقيقة أن الرغبة في الشغب وإثارة الفتن تدفع أهل الأهواء إلى تحقير الأمور الجليلة العظيمة، فيصيرونها طفيليات وقشورا، ويضخمون أموراً نظرية أعجمية لا ناقة لهم فيها ولا جمل غير التقليد فيرون أنها هي الأصول والجذور، وهي مقياس الحضارة والتقدم .

وإن ما يظنه محمد الغزالي (حقائق) في الفنون العصريه يرى غيره من مفكّري المسلمين وغيرهم [أنها] نظريات لا حقائق .

لقد وُجّه إلى الأستاذ المودودي [الذي يجله الغزالي وينهج نهجه تجاوز الله عنهما] سؤال غير مؤدب ، وهو: (من دعوى القرآن أن الشمس جارية متحركة، ولكن دعوى العلوم الطبيعية أنها ثابتة ساكنة .. . ؟)

فأجاب المودودي : (إنني في أثناء بحوثي وتحقيقاتي العلمية الطويلة خلال خمس وعشرين سنة، ما وقعت على مثال واحد من أن يكون الإنسان قد اكتشف بالطريقة العلمية حقيقة[يعارضها] القرآن... بيد أن النظريات التي وضعها علماء الطبيعة أو الفلاسفة بطريق القياس في هذا الزمان منها نظريات تعارض بيانات القرآن . ولكن مما يشهد به تاريخ النظريات القياسية : أن النظريات التي آمن بها هؤلاء العلماء والفلاسفة في زمن [على أنها]حقائق ثابتة، رفضوها في زمن آخر، واعتقدوا الحقيقة في غيرها!

فَلِمَ نسمح لنفوسنا اليوم أن نبالغ في تقدير هذه النظريات وإكبارها، لدرجة أن نترك القرآن ونؤمن بها في أول تصادم لها مع آيات القرآن) ؟

ثم قال للسائل : (وبجامعتك عدد لا يستهان به من المشتغلين بعلم الفلك ، فاسألهم : هل الشمس ثابتة ساكنة في واقع الأمر؟ فإن قال بذلك واحد منهم ، فالواجب عليك أن تعمل على اطلاع الدنيا العلمية باسمه العظيم .

وكل ما في الأمر أنك لا تزال حتى اليوم تعيش في القرن التاسع عشر وتعتقد أن [نظرياته] الطبيعية هي علوم طبيعية حين لم تكن الشمس فيه جارية متحركة، أما شمس العلوم الطبيعية في القرن العشرين ـــ فهي جارية بسرعة جيدة)(١)

ويقول سيد قطب [الذي يجله الغزالي وينهج نهجه تجاوز الله عنهما] في شأن هذه النظريات : (نحن في دراسة القرآن لا نلجا إلى التقديرات على أنها حقائق نهائية، فهي ليست في أصلها كذلك وإن هي إلا نظريات قابلة للتعديل ، فنحن لا نحمل القرآن عليها)

ونقل سيّد عن أحد أكبر علماء الفكر في أمريكا الذين اراد الغزالي فرض آرائهم على علمائنا : (إن العلوم حقائق مختبرة , ولكنها تتأثر بخيال الانسان وأوهامه , ونتائج العلوم مقبولة [فقط]داخل هذه الحدود , وهى تبدأ بالاحتمالات وتنتهي بالاحتمالات وليس باليقين) (٢)

وأزيد الأمر إيضاحا فأقول : ما جاء عن مفكّري الغرب من [نظريات كونية] فلا نتسرع [بالحكم] عليه أنه حقائق ، بل نتأنى ونتثبت وندرس ، فلابد أن ينجلى الأمر عن واحد من ثلاثة :

---

(١) الإسلام في مواجهة التحديات : (ص ٢٧٧)

(٢) في ظلال القرآن (٢ /١١٥).

أولها: أن يوافق ما [أوحى الله به في]القرآن والسنة، فهذا يجب التسليم به ، لأنه جاء به الوحي ، ولأن إنكاره إنكار لشيء من الوحي ، وهو كفر.

ثانيها: أن يأتى مناقضا لما أوحى الله به في القرآن والسنة، فهذا يرد، مثل القول : بأن الشمس [ساكنة] لا تتحرك ، لأن قبوله كفر وتكذيب [الآية المحكمة: ﴿والشمس تجري﴾].

ثالثها: أن تحتمله بعض النصوص احتمالا، ويحتمل بعضها رده ، وليس فيه نصوص صريحة ولا ظاهرة في قبوله أو رده . فهذا يفسح فيه المجال للقبول والرد، لكل فهمه وقناعته ، ولا يجوز فيه الطعن والتحقير لمن يقبله أو يردّه.

(شغب محمد الغزالي على أهل الحديث بخاصّة)

(١) قال الغزالي : (وأؤكد أولاً وآخرا: أنني مع القافلة الكبرى للإسلام ، هذه القافلة التي يحدوها الخلفاء الراشدون ، والأئمة المتبعون ، والعلماء الموثقون ، خلفا بعد سلف ، ولاحقا يدعو لسابق).[١]

أقول : إن هذه دعوى عريضة تقوم على غير أساس وتصادمها أقوال ومواقف للغزالي التي تشهد بأن القافلة الكبرى في واد وهو في واد آخر .

وهل يجتمع اتباع الخلفاء الراشدين والأئمة والعلماء مع الأخذ بنظم اشتراكية ؟ وهل يجتمع اتباع الخلفاء الراشدين وحب الروافض في قلب واحد ؟ وهل يجتمع إتباع الخلفاء الراشدين والأئمة والعلماء مع رد الحديث الصحيح والإجماع ؟

(٢) قال الغزالي : (وقد توفر للسنة المحمدية علماء أولو غيرة وتقوى بلغوا بها المدى، وكانت غربلتهم للأسانيد مثار الثناء والإعجاب ، ثم انضم إليهم الفقهاء في ملاحظة المتون واستبعاد الشاذ والمعلول .

وذلك أن الحكم بسلامة المتن يتطلب علماً بالقرآن الكريم ، وإحاطة بدلالاته القريبة والبعيدة، وعلماً آخر بشتى المرويات المنقولة، لإمكان الموازنة والترجيح بين بعضها والبعض الآخر.

والواقع أن عمل الفقهاء متمم لعمل المحدثين ، وحارس للسنة من أي خلل يتسلل إليها عن ذهول أو نسيان)[٢] ١هـ

---

(١) السنة النبوية : (ص ١١-١٢).

(٢) السنة النبوية : ص ١٥

أقول : إن على هذا الكلام ملاحظات من وجوه :

أولا : أن فيه هضماً لعلماء الحديث ، بدعوى كونهم مجردين من الفقه وإدراك العلل والشذوذ الكامنة في المتون ، وأنهم لا يدركون إلا ما في الأسانيد من صحة أو ضعف وهم في أشد الحاجة في ميدان اختصاصهم إلى الاستنجاد بالفقهاء لملاحظة المتون واستبعاد الشاذ والمعلول .

ثانيا : أن الغزالي لا يعرف أن الفقهاء والأصولين لا يشترطون نفي الشذوذ والعلة، وأن اشتراط نفيها من ميزات المحدثين ، فانك تجد كتب الفقه قد اكتظت بالأحاديث الواضحة الضعف ، وبالأحاديث الشاذة والمعللة، بل والموضوعات أحياناً، مما حدى بأهل المعرفة بالحديث إلى أن يقوموا بغربلة كتب الفقه بما أسدوه إلى الإسلام والمسلمين من كتب التخريج.

ثالثا : يصدق على كلام الغزالي المثل : (شنشنة أعرفها من أخزم)، فالقول بأن المحدثين لا يدركون علل المتون ، وأن جهودهم قاصرة على معرفة الأسانيد. هي شنشنة المستشرقين ومقلديهم من المنتسبين إلى الإسلام ، مثل أحمد أمين ومحمد حسين هيكل وأبي رية وأمثالهم ، ممن استخفوا بالسنة النبوية وأساؤا إلى المحدثين ، فرموهم بذلك وهم برءاء منه . فالغزالي يتبع أثرهم[تجاوز الله عنه].

ولا اظنه اطلع على ردود أهل الحديث في هذا العصر على المستشرقين ومقلديهم ودحضهم افتراءاتهم بالحجج والبراهين

رابعا : نسأل القارئ : أي الفريقين ألف كتب العلل ، وهي تشتمل على نقد الأسانيد والمتون ؟ وكذلك من ألف كتب الموضوعات ؟ وأخيراً من ألف الصحاح،أهم الفقهاء أم المحدثون ؟

ثم نسأله : أيظن أن الزهري وسفيان بن عيينة والأوزاعي وسفيان الثوري وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى القطان ويحيى بن معين والبخارى ومسلما وأبا داود والترمذي والنسائى وابن جرير وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني وأمثالهم من عباقرة الحديث والعلم حمال أسفار من غير فقه ولا فهم ؟

إنهم ليسوا فقهاء فحسب ، بل أئمة الفقه والحديث ، شأنهم شأن مالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضوان الله عنهم أجمعين .

ثم نسأله : أيظن أن الاهتمام بالسنة ودراستها يعمي البصائر ويفسد العقول فتصاب بالبلادة والغباء ؟إن العبقرية والذكاء لا يتوفران في طائفة من الطوائف كما يتوفران في طائفة أهل الحديث ، واقرأ تراجمهم التى دوّنها الثقات الأمناء، واقرأ مؤلفاتهم ، لترى المسافة الهائلة بينهم وبين من قتلهم الجمود والتعصب.

وإذا كان المهتمون بالحديث من المتأخرين قمما في الفقه والأصول واللغة والتفسير وغيرها من العلوم : كابن الصلاح والنووي وأبي شامة وابن دقيق العيد وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب والزركشي والعراقي وابن حجر والسيوطي والدهلوي والشوكانى وابن عبد الوهاب وأمثالهم ، فما بالك بأئمة الحديث المتقدمين الذين يفوقون هؤلاء ذكاء وعلماً وحفظا واستنباطا واجتهادا.

واستمع إلى قول الفقيه المحدث ابن الصلاح : (هذا وإن علم الحديث أنفع العلوم الفاضلة، يحبه ذكور الرجال وفحولتهم ويعنى به محققوا العلماء وكملتهم ، ولا يكرهه من الناس إلا أراذلهم وسفلتهم)[1]

خامساً : من حال بين المحدثين وبين العلم بالقرآن ودلالاته القريبة والبعيدة ؟ فهل بين السنة والقرآن خصومة تؤدي إلى الزهد في التفقه في القرآن وإقفال القلوب ، كما قال الله تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ، وكما قال تعالى في شأن المشركين : ﴿وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ﴾

عجبا والله أن يدّعي مدّع اهتمام الفقهاء واللغويين والأدباء والشعراء بدراسة القرآن ليستفيدوا من فقهه وآدابه وبلاغته ووعده ووعيده والارتواء من نميره , إلا أهل الحديث فإن قلوبهم تصاب بعاهة الإعراض والملل ، وعقولهم تصاب بالشلل .

سادسا : قال الغزالي في كتابه (دستور الوحدة الثقافية)[2] : (يقول الأستاذ الإمام حسن البنا: القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرّف أحكام الإسلام ، ويُفْهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويُرْجع في فهم السنة إلى رجال الحديث الثقات).

---

(١) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح : (ص ٢-٣).

(٢) ص ٣٢

فهذا البنا [وهو ممن يجله الغزالي ويحذو حذوه تجاوز الله عنهما] قد عرف لرجال الحديث فضلهم ومكانتهم ، ويرى أهم المرجع في فهم السنة, وقد نقل الغزالي هذا الكلام معتدّاً به ، فما باله يخالف إمامه ويريد أن يجرد أهل الحديث من حق عرفه لهم كل ذي عقل منصف ؟

وقال الغزالى : (وقد يصح الحديث سنداً ويضعف متناً بعد اكتشاف الفقهاء لعلة كامنة فيه)[1] ،

أقول : قد تهون المصيبة إذا كان يقصد بالفقهاء الأئمة الأربعة وأمثالهم ، وحتى هؤلاء و الله يحتجون بأحاديث ضعيفة ولاسيما أبا حنيفة وأصحابه رحمهم الله , ولا يكشف ضعفها وعللها إلا أهل الحديث ، وهذا الإمام الشافعي مع طول باعه في الفقه وعلمه بالحديث كما قال الحافظ ابن حجر [يجعل الفصل في أحكام] أئمة الحديث في كتبه فيقول مثلاً : (وفيه حديث لا يثبته أهل العلم بالحديث)[2] ،.

ويقول رحمه الله عارفا الفضل لأهله : (أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحا، فأعلموني : كوفياً كان أو بصريا أو شاميا، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحا)[3]

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (فمدار التعليل في الحقيقة على بيان الاختلاف ، وهذا الفن أغمض أنواع الحديث وأدقها مسلكا، ولا يقوم به إلا من منحه الله تعالى فهما غائصا، واطلاعا حاويا وإدراكا لمراتب الرواة ومعرفة ثاقبة، ولهذا لم يتكلم فيه إلا الأفراد أئمة هذا الشأن وحذاقهم وإليهم المرجع في ذلك ، لما جعل الله فيهم من المعرفة , والاطلاع على غوامضه ، دون غيرهم ممن لم يمارسه) .

وقال الحافظ العلائي : (فأما إذا كان رجال الإسنادين متكافئين في الحفظ أو العدد، أو كان من أسنده أو رفعه دون من أرسله أو وقفه في شيء من ذلك ، مع أن كلهم ثقات محتج بهم ، فها هنا مجال النظر واختلاف أئمة الحديث والفقهاء ، فالذي يسلكه كثير من أهل الحديث – بل غالبهم – جَعْل ذلك علة مانعة من الحكم بصحة الحديث مطلقا، فيرجعون إلى

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص (١٥) ،

(٢) النكت لابن جر على ابن الصلاح : (٢ /٧١١) وانظر الأم للإمام الشافعي: (١٣/١)

(٣) ابن أبي حاتم آداب الشافعى : (ص ٩٤–٩٥)، والحلية :(١٧٥/٩)، والانتقاء لابن عبد البر:(ص٧٥)، ومراجع أخرى انظرها في حاشية الآداب ،

الترجيح لإحدى الروايتين على الأخرى، فمتى اعتضدت إحدى الطريقين بشيء من وجوه الترجيح حكموا لها، وإلا توقفوا عن الحديث وعللوه بذلك ، ووجوه الترجيح كثيرة لا تنحصر ولا ضابط لها بالنسبة إلى جميع الأحاديث ، بل كل حديث يقوم به ترجيح خاص ، وإنما ينهض بذلك الممارس الفطن الذي أكثر من الطرق والروايات), وقال : (وأما أئمة الفقه والأصول فإنهم جعلوا إسناد الحديث ورفعه كالزيادة في متنه ، ويلزم من ذلك قبول الشاذ)[1]

وقال الحافظ العلائي – أيضا –: (وهذا إنما يقوم به – أي التفتيش عليه – الحافظ الكبير الذي قد أحاط حفظه بجميع الحديث أو بمعظمه : كالإمام أحمد وعلي بن المديني ويحيى بن معين ، ومن بعدهم : كالبخاري وأبي حاتم وأبي زرعة، ومن دونهم كالنسائي والدارقطني لأن المأخذ الذي يحكم به غالباً على الحديث بأنه موضوع الملكة النفسانية الناشئة عن جمع الطرق والاطلاع على غالب المروي في البلدان المتنائية، بحيث يعرف بذلك ما هو من حديث الرواة مما ليس من حديثهم ، وأما من لم يصل إلى هذه المرتبة، فكيف يقضي لعدم وجدانه للحديث بأنه موضوع ، هذا ما يأباه تصرفهم والله أعلم)[2]

فانظر إلى هذين الإمامين ، وهما من أئمة الحديث والفقه والأصول ، كيف يضعان الأمور في نصابها، ويعرفان لأهل الفضل فضلهم ، فيبرزان مكانة أهل الحديث وأئمتهم ، وأن غيرهم لا يستطيع مزاحمتهم في إدراك علل الحديث وضعفه أو الحكم عليه بالوضع ، وأن منهجهم أحكم وأحوط وأسلم ، وأنه يلزم على قواعد الفقهاء والأصولين قبول الحديث الشاذ (عكس ما يقوله الغزالي), وهذا أمر مسلم به لأهل كل اختصاص لا يجادل فيه إلا من لا يدري ما يقول ، ومن هنا يدرك من له أدنى مسكة من عقل أن كلام الغزالي السابق الذي يتضمن أن أهل الحديث لا يعرفون العلل ، وأن الفقهاء هم المختصون بمعرفتها : خلط أشبه بالهذيان

---

(١) نكت ابن حجر على ابن الصلاح : (٧١٢/٢).

(٢) النكت لابن حجر على ابن الصلاح : (٢ /٨٤٧).

(شغب الغزالي على حديث عذاب الميت ببكاء أهله عليه)

قال : (وفي عصرنا ظهر فتيان سوء يتطاولون على أئمة الفقه باسم الدفاع عن الحديث النبوي ، مع أن الفقهاء ما حادوا عن السنة ولا استهانوا بحديث صحت نسبته وسلم متنه ، وكل ما فعلوه : أنهم اكتشفوا عللا في بعض المرويات فردوها وفق المنهج العلمي المدروس ، وأرشدوا الأمة إلى ما هو أصدق قيلا وأهدى سبيلا.

وهم بهذا المنهج يتأسون بالصحابة والتابعين ، انظر موقف عائشة رضي الله عنها عندما سمعت الحديث :"إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" ، لقد أنكرته وحلفت أن الرسول ما قاله ، وقالت بياناً لرفضها إياه : (أين منكم قول الله سبحانه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾إنها ترد ما يخالف القرآن بجرأة وثقة .

ومع ذلك ، فإن هذا الحديث المرفوض من عائشة ما يزال مثبتا في الصحاح ، بل إن ابن سعد في (طبقاته) كرره في بضعة أسانيد. [1]

أقول : على هذا الكلام ملاحظات من وجوه :

أولا : فيه سَبٌّ لخيرة طلاب العلم ودعاته، وأكثرهم إدراكا للحاجة إلى العودة لفقه الكتاب والسنة.

ولو فرضنا أن فيهم من شتم الغزالي لما كان له إلا أن يتذكر قول الله تعالى :﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ وقوله : ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾' والآيات والأحاديث التي تحث على الآداب العالية والأخلاق الحسنة كثيرة جدا فكيف يرضى الغزالي تناسي هذا المنهج الرباني العظيم ؟

ثانيا : فيه اتهام لطلاب علم الحديث بأنهم يتطاولون على الأئمة باسم الدفاع عن الحديث النبوي ، وهذا أمر بعيد جداً , وإن المهتمين بدراسة السنة النبوية وعلومها وهم يعرفون طلاب علم الحديث أكثر من الغزالي لا يعرفون أحدا منهم يتطاول على الأئمة، كيف وهم يعلمون أن مالكاً والشافعي وأحمد بن حنبل أئمة علم الحديث ورواد مدرسته العظيمة ؟

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث : (ص ١٥-١٦)

بل والحق يقال : إن الطعن في الأئمة لا يصدر إلا من غلاة التعصب المذهبي في السابق واللاحق ، ولاسيما الكوثري وتلاميذه في هذا العصر , وما الغزالي عنهم ببعيد, وها هو – فيما قدمنا – يتطاول على أهل الحديث باسم الدفاع عن أهل الفقه].

وإذا كان لابد من التشهير بالمتطاولين على الكبار، وإذا كان الغزالي يغار فعلاً على الأئمة، فالأولى به التشهير بمن يلعن أكثر [وأكبر] الصحابة ويكفّرهم ، بل ويلعن أئمة السنة ولا يستثنون الأئمة الأربعة ولا غيرهم , وهذا واجب شرعي، فلماذا يتهرب منه الغزالي في كل كتبه ودروسه ؟

ثالثا : كلام الغزالي واضح في التفريق بين منهج الفقهاء الأربعة وبين منهج المحدثين ، والذي يعرفه الفقهاء والمحدثون أن أصول المحدثين هي عينها أصول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله , وأما أبو حنيفة رحمه الله عنه فتختلف أصول مذهبه شيئا مع أصول الثلاثة لكن المتعصبين من الأحناف بعده هم الذين وسعوا الشقة وردّوا الأحاديث التي تخالف مذهبهم .

وعلى كلّ فإن أئمة الفقه بمن فيهم أبو حنيفة لم يضعوا قواعد ولا مناهج لرد الأحاديث الصحيحة، بل هم وأئمة الحديث والتفسير متفقون على أنه يجب رد أقوالهم إذا خالفت الحديث

وأما اكتشاف العلل فأهل الحديث أحق به وأهله ، وليس هناك أحاديث خفيت عللها على أهل الحديث حتى اكتشفها الفقهاء كما زعم الغزالي ، وحاشا الصحابة والتابعين أن يضعوا منهجا لرد الأحاديث الصحيحة .

وعائشة لم تضع منهجا لرد الأحاديث الصحيحة، بل هو تصرف فردي اتضح خطؤه ، ولهذا لم يتابعها الفقهاء ولا المحدثون في رد الحديث المذكور كما سيأتي بيان ذلك .

رابعا : في كلام الغزالي [ألفاظ] يرددها تتنافى مع جلال السنة وتقشعر لها جلود من يعظمونها، مثل قوله : (وهذا الحديث المرفوض) , (وقالت – أي عائشة - بيانا لرفضها إياه) مع أن هنا الحديث لم يرفضه أحد من أئمة الحديث والفقه .

خامسا : يتحسر الغزالي من بقاء هذا الحديث في كتب الصحاح إلى الآن ، وينحى باللائمة على من دوّنه في الصحاح من أئمة الحديث , وإنما تقع اللائمة على الغزالي الذي ردّه بعد أن عرف قبول كبار الفقهاء والمحدثين له .

وقال الغزالي بعد أن ساق حديث: "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه" :(وماذا نقول ؟ إن الخطأ غير مستبعد على راوٍ ولو كان في جلالة عمر، وعندي أن ذلك المسلك الذي سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن أجل ذلك كان أئمة الفقه يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولاً، فإذا وجدوا في ركام المرويات ما يتسق معه قبلوه ، وإلا فالقرآن أولى بالاتباع)[1]

أقول : إن في هذا الكلام نظرا من وجوه :

أولاً : وإن كنا لا نقول بعصمة أحد من الرواة، لكن هذا الحديث لم يخطيء فيه عمر الخليفة الراشد المهدي رضي الله عنه ، وقد شاركه في سماعه من رسول الله ﷺ عدد من الصحابة يستبعد الحكم عليهم جميعا بالوهم والخطأ، بل يكاد يستحيل , [وعائشة رضي الله عنها مؤهلة للاجتهاد , والغزالي [بعيد عن الأهلية لما دونه من العلم], ومع ذلك فقد قيل : الحجة في روايتها لا في رأيها] .

الثاني : أن الأحاديث الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول ، فقهاؤها ومحدثوها، وعلى رأسهم أئمة النقد من أهل الحديث ، وتداولوها جيلا عن جيل إلى يومنا هذا، لا يجوز للأمة المسلمة أن تفسح المجال لأمثال الغزالي في القرن الخامس عشر أن ينشؤوا الأسس والقواعد لرفض أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة، في ظلال وهمه وزعمه بأنها تخالف نصوص القرآن ، فقد تبيّن للفقهاء والمحدثين : أن الصواب في فقه هذا الحديث إنما هو في جانب عمر وابنه رضي الله عنهما ، ومن وافقهما من الصحابة في رواية الحديث المذكور رضي الله عنهم أجمعين.

الثالث : فيما يتعلق بأئمة الفقه فان التعبير اللائق بمكانتهم ومكانة السنة النبوية أن يقال : كان أئمة الفقه يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب ، يعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة , لأن السنة بيان للقرآن لا يجوز عزلها عنه .

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث : (ص ١٧-١٨).

وذلك أن أئمة الفقه والحديث والتفسير يعتقدون أن السنن الثابتة لا تخالف القرآن[1] ويعلمون سلفا أن أركان الإسلام العلمية مثلا: من صلاة وصيام وزكاة وحج ، جاءت في أوامر مجملة، لا يمكن معرفة مراد الله منها إلا بالرجوع إلى سنة رسول الله ﷺ لبيانها

قال عمران بن حصين رضي الله عنه لرجل : (إنك أحمق ، أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً لا تجهر فيها بالقراءة) ، ثم عدّد الفرائض ثم قال : (أتجد هذا في كتاب الله مفسراً ، إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك)[2]

وقال رجل لمطرف بن عبدالله بن الشخير: لا تحدثونا إلا بالقرآن فقال له مطرف : (و الله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا)[3] يعني رسول الله ﷺ،

وعن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أنه حدث عن رسول الله ﷺ فقال رجل : إن الله عز وجل قال في كتابه كذا وكذا، فقال : (لا أراك تعارض حديث رسول الله ﷺ بكتاب الله عز وجل ، رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله عز وجل)[4]

قال الإمام أبو بكر الآجري[5] : (باب في التحذير من طوائف تعارض سنن النبي ﷺ بكتاب الله عز وجل وشدة الإنكار عليهم)

ثم قال :(ينبغى لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلا يقول : قال رسول الله ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء، فعارض إنسان جاهل ، فقال: لا أقبل إلا ما في كتاب الله ، قيل له : يا جاهل إن الله عز وجل أنزل فرائضه جملة، وأمر نبيه صلى الله ﷺ أن يبين للناس ما أنزل الله ، قال الله عز وجل: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ ، فأقام الله عز وجل وعلا نبيه ﷺ مقام البيان عنه ، وأمر الخلق بطاعته ، ونهاهم عن معصيته ، وأمر بالانتهاء عما نهاهم عنه ، وقال عز وجل : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ' ثم حذرهم أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل : ﴿فليحذر

---

(١) وقد صرح الإمام الشافعى أن السنة لا تخالف القرآن أبدا. انظر الرسالة : ص ١٤٦، وألف الإمام أحمد رسالة في بيان أن السنة لا تخالف القرآن ،

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر: (٢ /٢٣٤)، والشريعة للآجرى : (ص ٥١).

(٣) جامع بيان العلم : (٢ /٢٣٤).

(٤) الشريعة للآجري : (ص ٤٥).

(٥) الشريعة (ص ٤٦).

الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ' وقال تبارك وتعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ثم فرض على الخلق طاعته صلى الله ﷺ ، في نيف وثلاثين موضعا في كتابه عز وجل.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في رده على شبهة مخالفة الحديث القرآن في المثال الثامن عشر: (والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه :

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه ، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتظافرها.

ثانيها : أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرا له ،

ثالثها : أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه ، أو محرمة لما سكت عن تحريمه ، ولا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة فلا تعارض القرآن بوجه ما)[1]

الرابع : قول الغزالي : (فإذا وجدوا في ركام المرويات ما يتسق معه قبلوه)

قلت : لا أدري كيف يسهل عليه مثل هذا التعبير؟ إنه لا يليق التفوه بمثل هذا الكلام في تقييم كلام أي مسلم فكيف يوصف به كلام سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وتزداد الدهشة، إذا علمنا أنه يقصد بالركام : الأحاديث الصحيحة التي [يدعي] الغزالي أن مسلك عائشة أَسَّسَ لمحاكمتها.

لنفرض أن الغزالي صادق في دفاعه عن أئمة الفقهاء ، وأن أناسا تطاولوا عليهم ، فهل يرضى الأئمة هذا الاندفاع في الإساءة إلى السنة والإزراء بها ؟

كلا، إن الأئمة الفقهاء مثل المحدثين في إجلال السنة وتعظيمها واحترامها، بل هم يقدمون كثيراً من الأحاديث الضعيفة على آرائهم ، بل يقدمون أقوال الصحابة وفتاواهم على اجتهادهم.

وإنها لكارثة عظيمة أن يتصدى لقيادة الأمة من يحمل مثل هذا الفكر والخلق ، فإلى أي متاهة يقودها ؟ وإلى أي هاوية يجرها ؟ رحماك اللهم رحماك ،

---

(١) اعلام الموقعين : (٢ /٢٢٨).

(فقه علماء الأمة في حديث "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه")

(١) أما المحدثون فقد رووه ، وهم على ثقة تامّة من صحة سند الحديث وصحة معناه ، وأنه مبيّن للقرآن [لا مخالف له].

فقد رواه الأئمة : البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد عن عدد من [كبار]الصحابة، وهم : عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، وأبو موسى الأشعري ، والمغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين .

أما حديث عمر رضي الله عنه فرواه البخاري(١) ومسلم(٢) من طريق ابن أبي مليكة , عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن عمر مرفوعا.

ورواه مسلم من طريق نافع عن عبد الله بن عمر أن حفصة بكت على عمر فقال : مهلا يا بنية ألم تعلمي أن رسول الله ﷺ قال :"إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" (٣)

ومسلم أيضا من طريق سعيد بن المسيب وأبي صالح كلاهما عن عبد الله بن عمر عن أبيه(٤) ، وفي حديث أبي صالح : أما علمتم أن رسول الله قال , وذكر الحديث ، ومن طريق أبي بردة عن أبي موسى : لما أصيب عمر جعل صهيب يقول : وا أخاه ، فقال له عمر أما علمت أن رسول الله ﷺ قال : "إن الميت ليعذب ببكاء الحي" وفي لفظ "والله لقد علمت"(٥) ،

ورواه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه لما طعن عمر عولت عليه حفصة فقال : يا حفصة أما سمعت رسول الله ﷺ يقول :(إن المعولَ عليه يعذب)(٦) ،

وأما حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فرواه البخاري(٧) ومسلم(١) من طريق عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه " ، وفي مسلم : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وذكر الحديث.

---

(١) الجنائز ، حديث ١٢٢٨ .

(٢) الجنائز ، حديث ٢٢ .

(٣) الجنائز، ٩، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه حديث ١٦.

(٤) الجنائز ، حديث ١٧ ، ١٨ ،

(٥) الجنائز، حديث ١٩، ٢٠، وأخرجه ابن ماجه عن ابن المسيب رقم ١٥٩٣ ،

(٦) الجنائز ، حديث ٢١ ،

(٧) الجنائز ، ١٢٨٦ .

وكذا رواه النسائى[٢] من حديث ابن أبي مليكة ومن حديث عروة، كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما وكذا الترمذي[٣] وأبو داود[٤]

وأما حديث أبي موسى رضي الله عنه: فرواه الترمذي[٥] من طريق أسيد بن أبي أسيد أن موسى بن أبي موسى الأشعري أخبره عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال :"ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول : وا جبلاه وا سيداه أو نحو ذلك إلا وُكّل به ملكان يلهزانه : أهكذا كنت" ,قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وكذا رواه ابن ماجه وفيه : قال أسيد فقلت : سبحان الله إن الله يقول : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فقال : ويحك أُحدثك أن أبا موسى حدثني عن رسول الله ﷺ فترى أن أبا موسى كذب ؟ أو ترى أني كذبت على أبي موسى ؟[٦]

ومن هذه الأحاديث نرى أن عدداً من الصحابة قد شاركوا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابنه - رضي الله عنهما في السماع من رسول ﷺ لحديث تعذيب الميت ببكاء أهله عليه ، من هؤلاء أبو موسى الأشعري ، والمغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين ، وصهيب رضي الله عنهم جميعاً.

(٢) وأما الفقهاء فكل شُرَّاح الصحيحين وكتب السنن من الشافعية والمالكية والأحناف والحنابلة يُجلّون الأحاديث الدالة على تعذيب الميت ببكاء أهله - أو الحي - عليه ،

قال الخطابي : (الرواية إذا ثبتت لم يكن إلى دفعها سبيل بالظن ، وقد رواه عمر وابنه ، وليس فيما حكت عائشة ما يدفع روايتهما، فالخبران معا صحيحان ولا منافاة بينهما، فالميت إنما يعذب إذا أوصى بذلك في حياته ، وكان ذلك مشهورا في العرب موجودا في أشعارهم يقول طرفة :

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقي على الجيب يا ابنة معبد).

وقال الحافظ في الفتح : (وقد جمع كثير من أهل العلم بين حديثي عمر وعائشة بضروب من الجمع :

---

(١) الجنائز ، حديث ٢٢ .

(٢) (٤/١٧ ، ١٨) الجنائز، حديث ١٨٥٥ ، ١٨٥٨ .

(٣) ٨ جنائز، حديث ١٠٠٤ (٣ /٣١٨).

(٤) (٨/٤٠٠) مع عون المعبود من طريق عمرو عنه .

(٥) ٨ جنائز، حديث ١٠٠٣ .

(٦) ٦ الجنائز، حديث ١٥٩٤ .

أولها : طريقة البخاري ، يعني قوله : (باب قول النبي ﷺ : يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سُنَّته).

ثانيها : وهو أخص من الذي قبله ما إذا أوصى أهله بذلك ، وبه قال المزني ، وإبراهيم الحربي وآخرون من الشافعية وغيرهم ، حتى قال أبو الليث السمرقندى : إنه قول عامة أهل العلم ، وكذا نقله النووي عن الجمهور.

ثالثها : يقع ذلك أيضا لمن أهمل نهي أهله عن ذلك ، وهو قول داود وطائفة ، قال ابن المرابط : (إذا علم المرء بما جاء في النهي عن النوح ، وعرف أن أهله من شأنهم يفعلون ذلك ، و لم يعلمهم بتحريمه ، ولا زجرهم عن تعاطيه ، فإذا عذب على ذلك عذب بفعل نفسه ، لا بفعل غيره بمجرده).

رابعها: معنى قوله : "يعذب ببكاء أهله " أي بنظير ما يبكيه أهله به ، وذلك أن الأفعال التي يعددون بها عليه غالباً تكون من الأمور المنهية، فهم يمدحونه بها وهو يعذب بصنيعه ذلك ، وهو عين ما يمدحونه به ، وهو اختيار ابن حزم وطائفة.

قال الإسماعيلي : (كثر كلام العلماء في هذه المسألة وقال كلٌّ مجتهداً على حسب ما قدر له ومن أحسن ما حضرني وجه لم أرهم ذكروه وهو: أنهم كانوا في الجاهلية يُغِيْرون ويَسْبون ويَقْتلون ، وكان أحدهم إذا مات بكته باكيته بتلك الأفعال المحرمة، فمعنى الخبر: أن الميت يعذب بذلك الذى يبكي عليه أهله به ، لأن الميت يندب بأحسن أفعاله ، وكانت محاسن أفعالهم ما ذكر، وهي زيادة ذنب في ذنوبه يستحق العذاب عليها).

خامسها: معنى التعذيب : توبيخ الملائكة له بما يندبه أهله به ، كما روى أحمد من حديث أبي موسى مرفوعا: "الميت يعذب ببكاء الحي، إذا قالت النائحة : واعضداه ، واناصراه ، واكاسياه ، جُبِذ الميت وقيل له : أنت عضدها؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟"، وشاهده ما رواه المصنف في المغازي من حديث النعمان بن بشير، قال : أغمى على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته تبكي وتقول : وا جبلاه ، وا كذا، وا كذا، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي : أنت كذلك ؟

سادسها: معنى التعذيب : تألّمُ الميت بما يقع من أهله من النياحة وغيرها، وهذا اختيار أبي جعفر الطبري من المتقدمين ، ورجحه ابن المرابط وعياض ومن تبعه , ونصره ابن تيمية وجماعة من المتأخرين).

هذا ملخص ما حرره الحافظ ، ومن شاء الاستيفاء فليرجع إلى كتاب (الفتح)[١] ، و(شرح النووي لصحيح مسلم)[٢] ، و(المنتقى) لأبي الوليد الباجي المالكى[٣] ، و (شرح الزرقاني على الموطأ)[٤] و(تهذيب السنن)لابن القيم مع (عون المعبود)[٥] للعظيم آبادي ،و(عمدة القاري)[٦])[٦] للبدر العينى الحنفي، ليرى تعظيم العلماء لسنة رسول الله ﷺ، وفهمهم لهذا الحديث , بما لا ينتظر أن يفقه شيئاً منه جاهل بالحديث والفقه .

(شغب الغزالي على جعل دية المرأة أقل من دية الرجل)

قال الغزالي: (وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل ، وهذه سوأة فكرية وخلقية رفضها الفقهاء والمحققون ، فالدية في القرآن واحدة للرجل والمرأة، والزعم بأن دم المرأة أرخص وحقها أهون ، زعم كاذب مخالف لظاهر الكتاب). [٧]

أقول : مهلاً من أين استقى الغزالي هذا الخلط؟ ومن أنبأه أن أهل الحديث انفردوا بهذا الفهم وأن الفقهاء المحققين قد رفضوه حتى يحكم عليه بأنه سوأة خلقية وفكرية وزعم كاذب ، مخالف لظاهر القرآن ؟ ومَنْ هؤلاء الفقهاء المحققون الذين رفضوه؟ لا نجد إجابة في أي كتب الغزالي فعادته الإبهام والإدعاء بلا [دليل ولا توثيق]شأن المبطلين .

إن الفقهاء المحققين مجمعون على هذا الحكم لا خلاف بينهم فيه , إلا ممن شذّ عن الإجماع. استمع إلى الإمام الشافعى رحمه الله يقول في كتابه (الأم)[٨]

---

(١) (٣/١٥٤-١٥٥).

(٢) (٦ /٢٢٨-٩ ٢ ٢).

(٣) (٢/٢٧).

(٤) (٢/٧٤-٧٥).

(٥) (٨/٤٠٠-٤٠١).

(٦) (٨/٧٨-٨٠).

(٧)السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث : (ص ١٩).

(٨) (٦/١٠٦)

(لم أعلم مخالفا من أهل العلم قديما وحديثا في أن دية المرأة نصف دية الرجل ، وذلك خمسون من الإبل ، فإذا قضى في المرأة بدية، فهي خمسون من الإبل وإذا قُتِلت عمدا فاختار أهلها ديتها، فديتها خمسون من الإبل أسنانها أسنان دية عمد، وسواء قتلها رجل أو نفر أو امرأة لا يزاد في ديتها على خمسين من الإبل .

وجراح المرأة في ديتها كجراح الرجل في ديته لا تختلف ، ففي موضحتها نصف ما في موضحة الرجل ، وفي جميع جراحها بهذا الحساب .

فإن قال قائل : فهل في دية المرأة – سوى ما وصفت من الإجماع – أمر متقدم؟ فنعم أخبرنا مسلم بن خالد الزنجي ، عن عبد الله [1] بن عمر، عن أيوب بن موسى عن ابن شهاب وعن مكحول ، وعطاء قالوا: أدركنا الناس على أن دية الحر المسلم على عهد رسول الله ﷺ مائة من الإبل ، فقوّم عمر بن الخطاب تلك الدية على أهل القرى ألف دينار، أو اثني عشر ألف درهم ، ودية الحرة المسلمة إذا كانت من أهل القرى خمسمائة دينار أو ستة آلاف درهم).وقال أبو بكر ابن المنذر في كتاب (الإجماع)[2] : (وأجمعوا أن دية المرأة نصف دية الرجل)

وقال أبو محمد بن حزم في كتابه (مراتب الإجماع)[3] : (واتفقوا على أن الدية على أهل البادية مائة من الإبل ، في نفس الحر المسلم المقتول خطأ، لا أكثر ولا أقل , وأن في نفس الحرة المسلمة المقتولة منهم : خمسين من الإبل) , وأقره ابن تيمية رحمه الله .

وقال الإمام أبو القاسم الخرقي : (ودية الحرة المسلمة نصف دية الحر المسلم)[4] ،

وقال الموفق ابن قدامة الحنبلي : (قال ابن المنذر وابن عبد البر: أجمع أهل العلم على أن دية المرأة نصف دية الرجل ، وحكى غيرهما عن ابن علية والأصم أنهما قالا: ديتها كدية الرجل ، لقوله ﷺ : "في النفس المؤمنة مائة من الإبل". وهذا قول شاذ يخالف إجماع الصحابة، وسنة النبي ﷺ فإن في كتاب عمرو بن حزم[5] : "ودية المرأة على النصف من دية الرجل" ، وهي

---

(١) كذا والصواب : عبيد الله ،

(٢) (ص ١٤٧) الفقرة ٦٧٠

(٣) (ص ١٤٠)

(٤) المغني : (٨ / ٤٠٢) ،

(٥) الصواب أنه لم يثبت من حديث عمرو بن حزم وإنما ثبت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث معاذ معا.

أخص مما ذكروه ، وهما في كتاب واحد، فيكون ما ذكرنا مفسرا لما ذكروه ، مخصصا له..)[1] ،

وقال الإمام مالك رحمه الله في (الموطأ[2] : باب عقل المرأة)[3] ، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب ، أنه كان يقول : تعاقل المرأة الرجل إلى ثلث الدية، أصبعها كأصبعه ، وسنها كسنه ، وموضحتها كموضحته ومنقلتها كمنقلته .

وعن مالك ، عن ابن شهاب ، وبلغه عن عروة بن الزبير، أنهما كانا يقولان مثل قول سعيد بن المسيب في المرأة، أنها تعاقل الرجل إلى ثلث دية الرجل ، فإذا بلغت ثلث دية الرجل كانت إلى النصف ، من دية الرجل .

وقال القاضي أبو يوسف في كتاب (الخراج) [4] : (وكل شيء من الحر فيه دية. فهو من العبد فيه قيمته ، وكل شيء من الحر فيه نصف الدية. فهو من العبد نصف القيمة، وكذلك الجراحات ، على هذا الحساب .

ولا قصاص بين الرجال والنساء في العمد إلا في النفس ، فإن رجلاً لو قتل امرأة قتل بها، وكذلك لو قتلته قتلت به ، وأما ما دون النفس فليس بينهما فيه قصاص ، وفيه الأرش ، حتى لو قطع رجل يد امرأة أو رجلها أو أصبعا من أصابعها أو شجها موضحة وذلك كله عمد، أو كانت هي فعلت ذلك به لم يكن بينهما قصاص ، وكان في ذلك الأرش ، إلا في النفس خاصة، ففيها القصاص ، وأرش جراحاتهن على النصف من أرش جراحات الرجال ، لأن دياتهن على النصف من ديات الرجال ، ولو قطع رجل يد امرأة كان عليه نصف ديتها، وديتها خمسة آلاف ، فيكون عليه ألفان وخمسمائة، أو خمسة وعشرون بعيرا).

وقال الإمام محمد بن الحسن الشيباني – صاحب أبي حنيفة – رحمهما الله : (باب في عقل المرأة ، قال أبو حنيفة – رحمه الله في عقل المرأة : أن عقل جميع جراحها ونفسها على النصف من عقل الرجل في جميع الأشياء، وكذلك أخبرنا أبو حنيفة عن حماد، عن إبراهيم ، عن علي

---

(١) المغني :(٨/٤٠٢)

(٢) (٢/٨٥٣-٨٥٤)

(٣) أي الدية، إما دية النفس أو دية الجراح ، قال الأصمعي : سميت الدية عقلا تسمية بالمصدر، لأن الإبل كانت تعقل بفناء ولي القتيل ، ثم كثر الاستعمال حتى أطلق العقل على الدية، إبلا كانت أو نقدا. الزرقاني على الموطأ: (٤ /١٧٥).

(٤) ص ١٥٨-١٥٩ تصوير دار المعرفة، بيروت.

بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : (عقل المرأة على النصف من عقل الرجل ، في النفس وفيما دونها). [(١)]

فهؤلاء علماء الأمة , محدثوها وفقهاؤها، قد أجمعوا على أن دية المرأة المسلمة على النصف من دية الرجل المسلم ، فيذهب الغزالي بغير علم [ولا هدى ولا كتاب منير] إلى عزو حكم اتفقت عليه الأمة [فقهاءها وعلماءها]إلى أهل الحديث وحدهم ، ليشهّر بهم وينسبهم إلى الكذب وإلى مخالفة ظاهر القرآن .

ولقد غالى الغزالي في موضوع المرأة، وشغل نفسه والمسلمين بكتابات كثيرة حولها يطالب لها بحقوق لا تريدها[المرأة الصالحة] ولا تحلم بها، ويزعم أن الإسلام يمنحها كل ما يتخيله لها.

ومع أن الإسلام كرّم المرأة بما فيه العدل والحكمة فإن الرجل – بفضل من الله – تبقى له مزايا لا تساويه فيها المرأة : فلقد فضل الإسلام الذكر على الأنثى من حين ولادتهما، فشرع العقيقة عن الذكر شاتان وعن الأنثى شاة واحدة .

وهما صبيان : يغسل الثوب من بول الجارية، ويرش من بول الغلام .

وفي ميراث الأبناء والبنات والإخوة والأخوات : للذكر مثل حظ الأنثين .

وإذا ماتت المرأة عن زوجها فله نصف مالها إن لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد فله الربع ، وإن مات عنها الزوج فلها الربع إن لم يكن له ولد، فإن كان له ولد فلها الثمن ، ولو كان له أكثر من زوجة لم يرثن أكثر من ذلك , ولو مات الرجل عن عشرات البنات لا يرثن منه أكثر من الثلثين ، ولو مات عن ذكر واحد ورث جميع ماله ،

وإذا مات الميت عن أبوين فلأمه الثلث ولأبيه الثلثان ، وفي ميدان الحكم والجهاد أناط الإسلام المسئوليات بأعناق الرجال ، ولم يول رسول الله ﷺ امرأة واحدة إمرة جيش ولا قيادة سرية ,[ولا فرض عليها الجهاد], ولا أسند إلى امرأة إمارة حي من الأحياء – فضلا عن إمارة البلدان – , ولا عيّنها إمامة في الصلاة ولا مؤذّنه , ولو كان لها أدنى حق في أي من ذلك لبيّنه ﷺ فلا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة .

---

(١) الحجة على أهل المدينة : (٤ /٢٧٦- ٢٨٠) , وراجع تعليق الأفغاني في الصحائف المشار إليها، فقد نقل الإجماع عن ابن عبد البر، والمنذري ، وابن حجر العسقلاني، وذكر أسماء عدد كبير من العلماء، كلهم متفقون على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل ،

وفي مسائل الشهادة والعبادة قال رسول الله ﷺ في شأن النساء: "إنهن ناقصات عقل ودين" وقال الله تعالى. ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى﴾ .

وفي باب النكاح : المرأة لا تزوج نفسها ولا غيرها، فإن زوجت نفسها فنكاحها باطل باطل باطل ، فكيف إذا زوجت غيرها ؟ والأحاديث صحيحة بذلك ، وعليه عمل جمهور وعلماء المسلمين، يرضى بذلك الرجل والمرأة.

وقال تعالى : ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ . ألا تراه علل القوامه بأمرين أحدهما: فضل الرجال على النساء.

فإذا كان هذا هو واقع المرأة وحكمها في كل أطوارها وأحوالها، والمسلمون مجمعون على ذلك، فما الذي يجعل الغزالي يأنف ويتذمر من هذا الحكم من بين نظائره الكثيرة التي نص عليها القرآن الكريم وأجمع عليها المسلمون ، وأين فقه القرآن الذي ادعاه الغزالي إن كان جهل كل هذا؟.

وأقول : كل شرع الله تعالى حق وعدل وحكمة ووضع للأمور في نصابها، والإسلام لا يتملق أصحاب الشهوات والأهواء الجامحة، ولا يتنزل إلى رغبات النفوس المريضة والعقول المخبولة، قال تعالى : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ وقال الله تعالى ﴿بعد ذكر تشريعات عظيمة -: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾

ينسى الغزالي كل هذه الفروق الشرعية والجبلّية بين الرجل والمرأة ثم يتباكى على المرأة ويتهم العلماء خاصة وجماعة المسلمين عامة بظلمها وهضم حقوقها، فاستمع إليه يقول : (وقد لاحظت عند تحديد الوضع الاجتماعي للمرأة أنه ما يجيء حديثان في قضية تتصل بها إلا أُخِّر الصحيح)[1] وقال :(وقد لاحظت أن هناك أحاديث ضعيفة تحكم المجتمعات الإسلامية وتهزم الأحاديث الصحيحة بل المتواترة، خذ مثلا : صلاة النساء في المساجد، أقر الرفض عمليا

(١) دستور الوحدة:(ص ٢٨).ولعله يتهم أهل الحديث بهذه الخيانة والكتمان المزعومين فالله الحكم بينهم .

وطويت الأحاديث الصحيحة والمتواترة في هذه القضية المتصلة بأهم عبادات الإسلام ، والتصرف في السنة بهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون دينا قويما ولا صراطا مستقيما)[1] '

وعرض هاتين القضيتن فيه مغالطات ، وليعلم القارىء :

أولا: أن الغزالي لا يدري ما هو التصحيح وما هو التضعيف في الحديث,و لم يؤهل لذلك وأنه لا يلتزم في الوقت نفسه بأحكام المحدثين المختصين ، فهو يصحح ما ضعفوه ويضعف ما صححوه ، لا ميزان عنده للتصحيح والتضعيف إلا هواه.

وثانيا: أن المرأة ما تزال تصلي في كل المساجد , ولا أحد يستجيز منعها من ذلك ، وإذا كان هناك تشدد في بعض المذاهب كالأحناف أو بعض البلدان التي لا نعرفها فليوجه لهم نصائحه ليتأسوا بعلماء الجزيرة العربية ونجد من السلفيين خاصة، فإنهم والحمد لله يحترمون السنن ومنها أحاديث صلاة النساء في المساجد,[وكل مسلم حج أو اعتمر أو زار يشهد بذلك].

وثالثا: أن صلاة المرأة في المسجد سنة من السنن ، وقد بينت السنة الصحيحة أن صلاتها في بيتها أفضل ، لقول الله تعالى : ﴿وقرن في بيوتكن ﴾, وللحديث الصحيح.

(جهل الغزالي بمعنى الشذوذ والعلة ورفضه حديث : "لا يقتل مسلم بكافر")

قال الغزالي : (وحديث الآحاد يفقد صحته بالشذوذ والعلة القادحة وإن صح سنده ، فأبو حنيفة يرى أن من قاتلنا من أفراد الكفار قاتلناه ، فإن قتل فإلى حيث ألقت ، أما من له عهد وذمة , فقاتله يُقْتص منه ، ومن ثم رفض حديث: "لا يقتل مسلم في بكافر" مع صحة سنده ، لأن المتن معلول بمخالفته للنص القرآني : ﴿النفس بالنفس﴾ ' وقول الله بعد ذلك : ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾' وقوله : ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾

وعند التأمل نرى أن الفقه الحنفي أدنى إلى العدالة وإلى مواثيق حقوق الإنسان ، وإلى احترام النفس البشرية، دون نظر إلى البياض والسواد، أو الحرية والعبودية، أو الكفر والإيمان, ولو قتل فيلسوف كانس طريق ، قتل فيه ، {فالنفس بالنفس } قاعدة التعامل) .

وعلى هذا الكلام مآخذ أذكرها ثم أخرِّج الحديث وأذكر من احتج به من العلماء، وكيف دفعوا ما توهم بعض الأحناف من تعارضه مع القرآن .

(١) دستور الوحدة : (ص ٢٩).

المأخذ الأول : أن الغزالي لا يفهم من الشذوذ والعلة ما يفهم علماء الحديث والفقهاء. [ولتذكير]بعض القراء أذكر لهم معنى الشذوذ والعلة في اصطلاح علماء الإسلام ,محدثين وفقهاء وأصولين ،مع التذكير بأن الفقهاء والأصوليين لا يشترطون لصحة الحديث نفي الشذوذ والعلة: فللشاذ تعريفات,[لعلّ]أحسنها تعريف الإمام الشافعي رحمه الله قال:(ليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة ما لا يروي غيره ، إنما الشاذ أن يروي الثقة حديثا يخالف ما روى الناس)[(١)] .

أما تعريف العلة والحديث المعلّ ، فيقول الحافظ ابن الصلاح : (إعلم أن معرفة علل الحديث من أجلّ علوم الحديث وأدقها وأشرفها، وإنما يضطلع بذلك أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب ، وهى عبارة عن أسباب خفية غامضة قادحة فيه ، فالحديث المعلّ : هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن ظاهره السلامة منها، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الذي رجاله ثقات ,الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر , ويستعان على إدراكها :

١- بتفرد الراوي .

٢- وبمخالفة غيره له .

٣- مع قرائن تنضم إلى ذلك تنبه العارف بهذا الشأن على إرسال في الموصول ، أو وقف في المرفوع أو دخول حديث في حديث ، أو وهم واهم .

قال الخطيب أبو بكر: السبيل إلى معرفة الحديث أن يجمع بين طرقه وينظر في اختلاف رواته ، ويعتبر بمكانتهم من الحفظ ومنزلتهم في الإتقان والضبط .

وروى عن علي بن المديني قال : الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه)[(٢)]

أقول : هذا معنى الشذوذ والعلة والحديث المعلّ والأسباب والطرق التي يعرف ويكتشف بها العلل ,وليس من بينها مخالفة الأحاديث الصحيحة للقرآن ، لأن أئمة الحديث لا يحكمون للحديث بالصحة إلا بعد أن يجتاز مراحل من التحقيق تنقطع دونها أعناق غيرهم من العلماء , فكيف بالغزالي وأمثاله من الغرباء على الحديث والفقه وعلومهما,[تجاوز الله عنه].

---

(١) الحاكم : (معرفة علوم الحديث) : (ص ١١٩)، وابن الصلاح : (علوم الحديث: (ص ٦٨)، وابن حجر: ((في النكت على مقدمة ابن الصلاح)): (٢ /٦٥٢).

(٢) (علوم الحديث) : (ص ٨١-٨٢)، وانظر: (النكت) لابن حجر: (٢/ ٠ ١ ٧) فما بعدها.

وبعد هذا فاعلم أن المسلك الذي سلكه الغزالي بزعمه : أن الأحاديث الصحيحة سنداً قد تخالف القرآن ، لا يسلكه العلماء إلا في ردّ الأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ فإذا نظرت في كتب مصطلح الحديث تجد طرقا عديدة لكشف الحديث الموضوع وفضحه :

١- منها: ما يصرَّح بتكذيب راويه جمع كثير يمتنع في العادة تواطؤهم على الكذب أو تقليد بعضهم بعضا.

٢- ومنها : أن يكون مناقضا لكتاب الله أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي[١]

ثم في ضوء هذه القواعد المحكمة وغيرها تتبعوا الموضوعات وجمعوها في كتب خاصة، فمن أراد أن يعرف الأحاديث التى تعارض القرآن فليرجع إلي كتب الموضوعات، ولا يبحث عنها في [كتب الصحاح] التي اقرّها محدثوا الأمة وفقهاؤها , فإنه لا يبحث عنها في الصحاح إلا أهل الأمراض والأهواء عافانا الله والمسلمين منها.

المأخذ الثاني : على احتجاجه بقول الله تعالى : ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾: أيريد أن الحكم بين أهل الكتاب لا يجوز أن يكون إلا بالقرآن ولا يجوز أن يكون بالسنة لأنها ليست مما أنزل الله ؟ فإن كان يريد ذلك - وهو الظاهر - فإنها لكارثة .

المأخذ الثالث : على احتجاجه بقوله تعالى : ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ﴾: فهل يرى أن مضمون حديث : "لا يقتل مسلم بكافر"من أحكام الجاهلية أو يشبهها؟

المأخذ الرابع : على قوله : (وعند التأمل نرى أن الفقه الحنفي أقرب إلى العدالة وإلى مواثيق حقوق الإنسان): فهل من العدل أن يساوى بين الكفر والإيمان ؟ وبين المؤمنين والكافرين ؟

لقد قال الله تعالى : ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيفع تحكمون . أم لكم كتاب فيه تدرسون . إن لكم فيه لما تخيرون ﴾ ' وقال تعالى : ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾.

ومن المصائب أن يجعل الغزالي من العدالة ومن مرجحات الفقه الحنفى دُنُوّه من مواثيق حقوق الإنسان ! فهل هي منزلة من السماء ؟ أم هى من أحكام الطاغوت ؟ وهل أحسن إلى الفقه الحنفي حين جعله أقرب إلى مواثيق حقوق الإنسان : فقه أئمة الكفر من يهود ونصارى وملاحدة ؟ وهل أحسن إلى حديث رسول الله ﷺ حين عَبَّرَ عنه بأنه قد رفضه أبو حنيفة ؟

---

(١) (النكت) لابن حجر على مقدمة ابن الصلاح : (٢ /٨٤٦)

وفي السياق نفسه يسوق هذه المواثيق الجاهلية الكافرة مساق التكريم [وهو] نتلو قول الله تعالى:﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾.

المأخذ الخامس : على قوله : (وأقرب إلى احترام النفس البشرية دون النظر إلى البياض والسواد أو الحرية والعبودية أو الكفر والإيمان).

أقول : إن الأصل أن الكافر لا حرمة له ، ويكتسب الذمي والمعاهد حرمة محدودة بسبب دخوله تحت ذمة المسلمين الذين فرض عليهم الله احترام العهود والمواثيق ، ولكن ليس معنى حرمة نفسه أن يكون مثل المسلم سواء بسواء، فإن الذمي إذا مات، لا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يستغفر له ، قال تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ ' وقال تعالى : ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ .

ومن أحسن ما قيل في الفرق بين المؤمن والكافر ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله قال[1] : (لا يقتل مؤمن بكافر ,ودية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم ، ودية المجوسي ثمانمائة درهم ، وقد خالفنا في هذا غير واحد من الناس ، وسألني بعضهم وسألته ، وسأحكي ما حضرني منه إن شاء الله تعالى .

فقال : ما حجتك في أن لا يقتل مؤمن بكافر؟ فقلت :

١- ما لا ينبغي لأحد دفعه ، مما فرق الله به بين المؤمنين والكافرين .

٢- ثم سنة رسول الله ﷺ.

٣- ثم الأخبار عمن بعده [أي : في فقههم للكتاب والسنة وعملهم بهما].

فقال: وأين ما فرق الله به بين المؤمنين والكافرين من أحكام الدنيا ؟ فقيل له :

١- يحضر المؤمن والكافر قتال الكفار، فنعطي المؤمن السهم ونمنعه الكافر، وإن كان أعظم غناء منه .

٢- ونأخذ ما أخذنا من مسلم بأمر الله صدقة يطهره الله بها ويزكيه, ويؤخذ ذلك من الكفار صغاراً، قال الله تعالى : ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ ,فوجدت الكفار في حكم الله ثم في حكم رسوله في موضع العبودية للمسلمين : صنفا متى قدر عليهم تُعُبدوا وتؤخذ

(١) الأم : (٧ /٤٢١)

منهم أموالهم لا يقبل منهم غير ذلك ، وصنفا يصنع ذلك بهم إلا أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

٣- وقد فرق الله عز وجل بينهما بهذا وبأن أنعم على المسلمين فأحل لهم حرائر نساء أهل الكتاب ، وحرم المؤمنات على جميع الكافرين مع ما يفترقون فيه سوى هذا),ثم مضى في نقاش مناظره بأسلوب يعلو به عليه ويظهر به مكانة الشافعي وعلمه وقوة حجته رحمه الله .

فأي عدالة هذه التي تسوي بين التوحيد والشرك ، والإيمان والكفر والنجاسة والطهر ؟ وأين دعوى إدراك معاني القرآن ؟ وأين الغزالي من قوله :(كل ما نحرص عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه ، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها، مستغرقون في شئون أخرى تعجزهم عن تشرّب الوحي).

(تخريج حديث " :لا يقتل مسلم بكافر")

عن أبي جحيفة : سألت عليا رضي الله عنه: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ، فقال :(والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن ، وإلا فهماً يعطى الرجل في كتابه ، وما في الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر).

أخرجه البخاري[١] ، والترمذي [٢] ، والنسائي[٣]، وأحمد[٤] ، والدارمي[٥]، وابن الجارود[٦]، وابن أبي شيبة[٧]، وعبد الرزاق[٨].

وفي الباب آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين[يضيق عنها هذا الموجز].

---

(١) ٨٧- كتاب الديات ، ٣١ - باب لا يقتل المسلم بالكافر، حديث (٦٩١٥).

(٢) (٤/٢٤) ١٤- كتاب الديات ، ١٦ - باب ما جاء لا يقتل مسلم بكافر حديث (١٤١٢).

(٣) (٨/٢٣-٢٤) ٤٥ - كتابة القسامة، ١٤ - باب سقوط القود من المسلم للكافر حديث (٤٧٤٤-٤٧٤٦).

(٤) (١/ ٧٩).

(٥) (٢/١١٠) حديث (٢٣٦١).

(٦) ص ٢٦٨)، الديات حديث (٧٩٤).

(٧) في المصنف (٩ /٢٩٣)

(٨) (١٠/٩٩-١٠٠)

القائلون بمضمون ذلك:

ذهب جمهور أهل العلم إلى الأخذ بما ورد في هذه المسألة من الأحاديث والآثار الصحيحة عن الصحابة والتابعين ، ولا يثبت فيه اختلاف بين أصحاب رسول الله ﷺ [1] : وهذا المذهب يرتكز على مايلي:

أولاً : على النصوص الواردة في القضية مباشرة: "لا يقتل مسلم بكافر" ،

ثانيا : على المنهج العام للإسلام في التفريق الواضح بين المسلم والكافر كما فقهه الصحابة وفقهاء الأمة بعدهم من آيات القرآن الكريم ،ومن سنة الرسول الكريم ﷺ،

وثالثا : يدعمه قواعد الشريعة وأصولها، فالأحاديث الواردة في عدم قتل المسلم بالكافر تخصص قول الله تعالى : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ وليس هذا ببدع من الأمر.

المخالفون :

قال الحافظ ابن حجر: (وخالف الحنفية، فقالوا: يقتل المسلم بالذمي إذا قتله بغير استحقاق ولا يقتل بالمستأمن , وعن الشعبى والنخعي : (يقتل باليهودي والنصراني دون المجوسي)[2]

قال ابن حزم : (ولا يثبت عن الشعبي ، فإن راويه عنه ابن أبي ليلى وهو ضعيف ، وداود الزعافري وهو ساقط)[3]

أقول : وليعلم القارىء أن أبا حنيفة وأصحابه رحمهم الله لم يردوا حديث علي وغيره بالقرآن ، ويؤخذ من نقل الإمام محمد بن الحسن عن شيخه الإمام أبي حنيفة أنهما لم يطلعا على حديث علي ومن معه في هذه القضية، ولو اطلعا عليه لأخذا به ، هذا ما نعتقده فيهما وفي أمثالهما من أهل العلم والفضل ،وقول أبي حنيفة (إذا صح الحديث فهو مذهبي) يؤيد ذلك.

وأنا أسوق للقارىء ما نقله الإمام محمد بن الحسن عن شيخه أبي حنيفة رحمهما الله :

---

(١) انظر: المحلى : (١٠ /٤٢٤).

(٢) فتح الباري:(١٢ /٢٧٣) وانظر: "تحفة الأحوذي :(٤ /١٧٦) و"المغني لابن قدا مة :(٢٧٣/٨).

(٣) المحلى: (١٠ /٤٣٢)

قال في كتاب (الحجة على أهل المدينة) [1] : (قال أبو حنيفة رضي الله عنه : ودية اليهودي والنصراني والمجوسي مثل دية الحر المسلم ، وعلى من قتله من المسلمين القود.

وقال أهل المدينة : دية اليهودي والنصراني إذا قتل أحدهما نصف دية الحر المسلم ، ودية المجوسي ثمانمائة درهم .

وقال أهل المدينة : لا يقتل مؤمن بكافر.

١- قال محمد: وقد روى أهل المدينة أن رسول الله ﷺ قتل مسلما بكافر، وقال : "أنا أحق من وفى بذمته".

٢- قال محمد: أخبرنا إبراهيم بن محمد عن ابن المنكدر عن عبد الرحمن بن البيلماني[2] :أن رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال:"أنا أحق من وفى بذمته" ثم أمر به فقتل .

٣- وقد بلغنا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر أن يُقْتل رجل من المسلمين يَقْتل رجلا نصرانيا غيلة من أهل الحيرة، فقتله)[3]

٤- وقد بلغنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول : (إذا قتل المسلم النصراني قتل به)[4]

٥- أخبرنا ابن المبارك عن معمر بن راشد، قال حدثني من شهد قتل رجل بذمي بكتاب عمر بن عبد العزيز.

٦- أخبرنا قيس بن الربيع ، عن أبان بن تغلب ، عن الحسن بن ميمون[5] ، عن عبد الله بن عبد الله مولى بني هاشم ، عن أبي الجنوب الأسدي[1] قال : (أُتي علي بن أبي طالب رضي الله

---

(١) (٤/٣٢٢-٣٤٧) مع تعليقات الأفغاني .

(٢) عبدالرحمن بن البيلماني مولى عمر، مدني نزل حران ، ضعيف من الثالثة ، (التقريب): (ص ٣٣٧).
وذكره ابن حبان في (الثقات) ، قال أبو حاتم : (لين)، وقال الدارقطني :(ضعيف لا تقوم به حجة) وقال الأزدي : (منكر الحديث ولا يعرف أنه سمع من أحد من الصحابة إلا من سرق)،(تهذيب التهذيب): (٦ /١٥٠). وفي الإسناد أيضا ابن أبي يحيى، وهو أشد ضعفا من ابن البيلماني.

(٣) بلاغ بدون إسناد.

(٤) بلاغ بدون إسناد. ويبعد من علي مخالفته لما رواه هو بنفسه عن النبي ﷺ.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

عنه برجل من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة، فقامت عليه البينة، فأمر بقتله ، فجاء أخوه ، فقال : قد عفوت عنه قال : فلعلهم هددوك أو فرقوك ؟ قال : لا، ولكن قتله لا يرد علي أخي ، وعوضوني فرضيت ، قال : أنت أعلم ، من كانت له ذمتنا فدمه كَدَمِنا وديته كديتنا).

٧- أخبرنا أبو حنيفة عن حماد، عن إبراهيم ، قال : (دية المعاهد كدية الحر المسلم).

٨- وحدثنا أبو حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم أن رجلاً من بني بكر بن وائل قتل رجلاً من أهل الحيرة، فكتب فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يدفع إلى أولياء المقتول فإن شاؤا قتلوا، وإن شاؤا عفوا، فدفع الرجل إلى ولي المقتول ، إلى رجل يقال له حنين من أهل الحيرة فقتله ، فكتب عمر بعد ذلك إن كان الرجل لم يقتل ، فلا تقتلوه فرأوا أن عمر أراد أن يرضيهم من الدية .

٩- أخبرنا محمد بن يزيد، قال : أخبرنا سفيان بن حسين ، عن الزهري ، أن ابن شاش الجذامي قتل رجلا من أنباط الشام ، فرفع إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بقتله ، فكلمه الزبير وناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، فنهوه عن قتله ، قال :(فجعل ديته ألف دينار).

أقول : يرى القارىء مما روى محمد بن الحسن عن شيخه أبي حنيفة رحمهما الله :

أولاً: أنه لم يحتج بآية ﴿النفس بالنفس﴾ ولا بغيرها من الآيات ، ولا يرى ما ذكره الغزالي من أن أبا حنيفة قد رفض الحديث الصحيح : "ولا يقتل مسلم بكافر".بحجة أنه خالف القرآن .

ثانيا: أن محمد بن الحسن جرى على سنن غيره من العلماء في الاحتجاج بالسنن والآثار التي يعتقد أنها تقوم بها الحجة، ولو كان يرى أن في آية﴿ النفس بالنفس ﴾ دليلا على قتل المؤمن بالكافر لاحتج بالآية قبل الأحاديث والآثار ولا كان يرى تعارضا بين الحديث والقرآن في هذه المسألة.

ثالثا: أن الحديث الذي احتج به والآثار لا يثبت منها شيء كما ذكر ذلك ابن حزم.

والذي أعتقده في الإمامين أنه لو بلغهما حديث عليّ الصحيح ، وحديث عمرو بن شعيب ، والآثار الصحيحة عن الصحابة لتراجعا عن رأيهما، كما هو منهج السلف في الرجوع عن الخطأ إلى الصواب ، وقد رجع من كبارهم عن هذا الرأي : الإمام زفر رحمه الله .

---

(١) ضعيف ، انظر: (الجرح والتعديل) : (٦ /٣ ٣١)، و(تهذيب التهذيب) : (٧ /٢٤٧).

وقد ذكر الطحاوي[1] حديث علي رضي الله عنه من طريقين مسلَّماً بصحته ، لكنه تأوله في ضوء اللغة والنظر، وحديث ابن البيلماني المرسل الضعيف , وبعض الآثار التي لا تثبت ، ثم نزله على بعض الكفار كالحربي والمستأمن ، و لم يسق في الموضوع آية ﴿النفس بالنفس ﴾ ولا غيرها من الآيات , لأنه لا يرى في القرآن دليلا على قتل المؤمن بالكافر , ولا يرى تعارضا بين الحديث والقرآن .

ويبدو أنه لما طال الزمان واستمر الخلاف بين أهل المذاهب زج متعصبوا الأحناف بالآيات في مسألة قتل المؤمن بالكافر، وفرحوا بهذا الاكتشاف الغريب الذي لم يخطر ببال الإمام أبي حنيفة ولا ببال كبار أصحابه وفحولهم ، بل ولا ببال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فصار المتعصبون المكابرون يدّعون أن أخبار الآحاد الصحيحة تُرّد بالقرآن.

لكن فحول العلماء تصدوا لتفنيد هذه المغالطات ، ومن هؤلاء الفحول : الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، قال رحمه الله في كتابه (المحلى)[2] :

(ثم نظرنا في قول من قال : يقتل المسلم بالذمي وبالمعاهد فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالى :

١- ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ ' قالوا: وهذا عموم.

٢- وبقوله تعالى : ﴿والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾.

٣- وقوله تعالى : ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ .

٤- وقوله تعالى : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾.

٥- وبقوله عز وجل : ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾.

٦- وبقوله تعالى : ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى﴾

(١) ((شرح معاني الآثار)): (٣ /٢ ٩ ١ -٩٦ ١)

(٢) (١٠/٤٢٥-٤٢٨). ، وراجع في هذا الموضوع : ((أحكام القرآن)) لابن العربي المالكي : (٢/٦٢٢-٦٢٣)، و"أضواء البيان " للعلامة محمد الأمين الشنقيطي : (٢ /١٠٤).

٧- وقوله تعالى : ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾

قال أبو محمد رحمه الله : (وكل هذا لا حجة لهم في شيء منه :

١- أما قول الله : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ ففي آخر هذه الآية بيان أنها في المؤمنين خاصة، لأنه قال تعالى : ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له ﴾، ولا خلاف بيننا وبينهم في أن صدقة الكافر الذمي المقتول عمدا لا تكون كفارة له ، فبطل تعلقهم بهذه الآية .

٢- وأما قوله تعالى : ﴿والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ : فإن الخطاب في هذه الآيات للمؤمنين لا للكافرين ، فالمؤمنون هم المخاطبون في أول الآية وفي آخرها بأن يعتدوا على من اعتدى عليهم بمثل ما اعتدى به عليهم ، وليس فيها أن يعتدي غير المؤمنين على المؤمنين باعتداء يكون من المؤمنين عليهم أصلا.

وإنما وجب القصاص من الذمي للذمي بقول الله تعالى : ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ لا بالآية المذكورة .

٣- وأما قوله تعالى : ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها} : فهي في المؤمن يساء إليه خاصة، لأن نصها: {وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله﴾، ولا خلاف في أن هذا ليس في الكفار، ولا أجر لهم البتة .

٤- وأما قوله : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ فكذلك إنما هو خطاب للمؤمنين خاصة يبين ذلك ضرورة قوله تعالى فيها: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ ، ولا خير لكافر أصلا صبر أو لم يصبر، قال تعالى : ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾ .

٥- وأما قوله تعالى : ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل .إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ﴾ وقوله تعالى: ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾وقوله تعالى: ﴿ثم بغى عليه لينصرنه الله﴾ وقوله عز وجل: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى، الحر بالحر والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى ﴾ والأخبار الثابتة التي فيها:" النفس بالنفس "، "ومن قتل له قتيل" ، فإما أن يودي وإما أن يقاد: فإن كل ذلك يُخَصُّ بقول الله عز وجل :﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف

تحكمون﴾وبقوله عز وجل : ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾وبقوله تعالى : ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾.

فوجب يقينا أن المسلم ليس كالكافر في شيء أصلا ولا يساويه في شيء . فإذ هو كذلك فباطل أن يكافأ دمه بدمه ، أو عُضْوه بعضوه ، أو بَشَرته ببشرته ، فبطل أن يستقاد للكافر من المؤمن أو يقتص له منه فيما دون النفس ، إذ لا مساواة بينهما أصلا..

ولما منع الله عز وجل أن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا , وجب ضرورة أن لا يكون له عليه سبيل في قود ولا في قصاص أصلا، ووجب ضرورةً استعمال النصوص كلها إذ لا يحل ترك شيء منها.

قال : (ومن فضائح الحنفيين . . . قطعهم يد المسلم بيد الذمي الكافر، ومنعهم من قطع يد الرجل المسلم بيد المرأة الحرة المسلمة ؟ نعم ولا يقطعون يد الذمى الكلب إن تعمد قطع يد امرأة حرة مسلمة، فاعجبوا لهذه ا لمصائب) .

ثم استمر في نقاشهم بالحجج القويّة في آثار يتعلقون بها ، ويرد شبهاتهم من حيث الأسانيد وفساد الاستدلال بالمتون رحمه الله.

ولقد ظهر للقارئ :

أولاً: براءة الإمام أبي حنيفة رحمه الله مما نسبه إليه الغزالي من رفض هذا الحديث الصحيح ، ومن ظنّ الغزالي أنه يعارض القرآن ، وبراءة فحول الصحابة من هذا من باب أولى .

ثانياً: أن معارضة السنة بالقرآن مذهب رديء من مذاهب المنحرفين من المعتزلة ومن جاراهم من ضُلّال المتكلمين ، ينزه عنه السلف ومنهم أبو حنيفة وكبار تلاميذه .

ثالثاً: أن أحاديث "لا يقتل المسلم بالكافر " أخذ بها جمهور فقهاء الأمة، وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم.

رابعاً: الآيات القرآنية، والسنة النبوية تؤيد هذه الأحاديث وما ذهب إليه الجمهور، عكس ما يتوهمه المتعصبون المقلدون كالغزالي فهم من أبعد خلق الله عن فهم القرآن ، ومن أجرأ الناس على رد سنن رسول الله ﷺ الصحيحة والطعن فيها بالجهل والهوى .

(شغب الغزالي على حديث شريك أن الله دنا فتدلى)

تعرض الغزالي للخلاف في تحية المسجد والإمام يخطب ورجح القول بمنعها بدون دليل.

ثم قال : (وندع قضيةً الخَطْب فيها سهل إلى قضية علمية مهمة لها وزنها ولا نحب أن نجعل منها قضية عقائدية) .

ثم قال : (من الذي نزل بالقرآن الكريم على عبدالله ورسوله محمد بن عبد الله ؟ يقول المسلمون خاصتهم وعامتهم أنه أمين الوحي جبريل) وأجهد نفسه في سوق الأدلة من القرآن الكريم فساق خمسة أدلة تؤيد هذه الحقيقة , منها قول الله تعالى:﴿إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى ﴾.

وفسر الآية بقوله : (القوي الذي علمه الوحي ، ونزل به من السماء الدنيا، وحلّق به في جو الأرض ، ثم اقترب به من الرسول العربي هو جبريل بداهة ، ولا يحتمل السياق إلا هذا ، ومع ذلك فقد جاءت في الأحاديث المنقولة بطريق الآحاد رواية مستغربة أن الذي دنا فتدلى هو الله ! والرواية تخالف المقطوع به من الكتاب والسنة، ومن هنا لم يكترث بها المحققون ، بل جمدت في مكانها، حتى جاء ضعفاء الفقه ، فاستحيوها دون وعى .

وقد ضقت ذرعا بأناس قليلي الفقه كثيري النظر في الأحاديث ، يصدرون الأحكام ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة . ولا زلت أحذر الأمة من أقوام بصرهم بالقرآن كليل وحديثهم عن الإسلام جريء ، واعتمادهم كله على مرويات لا يعرفون مكانها من الكيان الإسلامي المستوعِب لشئون الحياة.

وقد جاء الإمام مسلم رحمه الله فعلق على رواية إمامه البخاري رحمه الله فبين ما بها من عطب ، وذكر أن الخطأ جاء من شريك عن أنس بن مالك الذي ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وأخر.إن مسلما مضى على منهج المحدثين ، فناقش عمل شريك الراوي عن أنس ، ثم رفض المتن وحسنا فعل .

إن الخطأ في تفسير آية النجم والزعم بأن المعنى : دنا الجبار رب العزة فتدلى كان مثار استنكار السيدة عائشة رضي الله عنها, فلما سألها مسروق يا أماه هل رأى محمد ربه ؟ قالت : لقد قف شعري مما قلت ! أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ، من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ .

أقول : إن على كلامه هذا مآخذ :

الأول : على قوله : (وندع قضية الخطب فيها سهل إلى قضية علمية مهمة لها وزن ، ولا نحب أن نجعل منها قضية عقائدية) .

أ- نسأل المخدوعين بفكره لماذا يثير قضية يعتقد أن الخطب فيها سهل , وهي خارجة عن موضوع كتابه الذي ألّفه لإبراز صراع مزعوم بين الفقهاء والمحدثين, والخلاف دائر فيها بين الفقهاء أنفسهم؟

ب – القضية التي يصفها بأنها علمية مهمة ولها وزن قال عنها : (لا نحب أن نجعل منها قضية عقائدية) فهل المسائل العلمية المهمة ذات الوزن تترك للأهواء والرغبات ليصنّفها أي كاتب: عقائدية أو فكرية أو طفيليات أو قشور بلفظ الغزالي, أو تترك بدون تصنيف لا هنا ولا هناك؟ .

ليعلم الجاهلون أن علماء الأمة الأول يجعلون المسائل العلمية الغيبية في قسم العقائد.

ثم لماذا هذه الضجة والطعن والتجريح والتهويل في مسألة غير عقائدية ؟

الثاني : يزيد الأمر سوءاً أن المقصود بهذا الطعن والتشويه هو الإمام البخاري الفقيه البصير, والحافظ الناقد, أمير المؤمنين في الحديث الأمين الذي سلّمت الأمة بإمامته إذ قدم للأمة أصح كتاب بعد كتاب الله بشهادة محدّثي الأمة وفقهائها ,هذا الكتاب العظيم الذي تلقته الأمة بالقبول والحفاوة والحفظ والدراسة والتآليف حول رجاله وألفاظه ومعانيه حيث بلغت الكتب التي كُتبتْ عنه أكثر من خمسمائة كتاب.

وله من التآليف النافعة (التاريخ الكبير) في الرجال الذي يعد ابتكارا لهذا الفن من هذا الإمام الفذ وله (الأدب المفرد) و(الكنى) و(خلق أفعال العباد).

هذا الرجل العظيم لا يطعن فيه إلا عبد مخذول لا يعرف قدر العلم والسنة ولا يعرف قدر العظماء الذين تشرف بهم الأمم .

الثالث : قال الغزالي: (إن المسلمين خاصتهم وعامتهم يقولون : بأن الذي نزل بالقرآن على صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله هو أمين الوحي جبريل).

هل يعتقد الغزالي حقاً أن أهل الحديث يخالفون في هذه القضية التي تواترت بدليل القرآن والسنة وأجمع عليها المسلمون ؟ وإلا فلماذا يتكلف الخلاف ويحشد الأدلة ويجهّل ويطعن ويرغي ويزبد ؟

الرابع : في دعواه أن جبريل نزل بالوحي (من السماء الدنيا) إشارة إلى إنكار الغزالي علو الله على خلقه ، وكونه على العرش استوى[1] وهذه أكبر وأدهى وأمرّ من دعوى الخطأ في رواية شريك بمراحل .

وقوله : (هو جبريل بداهة لا يحتمل السياق إلا هذا), ليس الأمر كما يدّعي , وإلا فكيف يفسر عبد الله بن عباس (الذي دعا له النبي ﷺ أن يفقهه الله في الدين) [وأنس بن مالك رضي

(١) انظر كتابه : ((هموم داعية)) : ص ٩- ١١ فقد سئل عن فوقية الله فتهرب عن الإجابة و لم يصرح بإثباتها .

الله عنهم جميعاً] هذه الآية بما يخالف المقطوع به من الكتاب والسنة ويتلقاه عنهما الرواة وينقله المفسرون :

قال ابن جرير[1] بعد أن روى عن الحسن وقتادة والربيع أن الذي دنا فتدلى هو جبريل- : (وقال آخرون : بل معنى ذلك ثم دنا الرب من محمد ﷺ فتدلى)، وذكر من قال ذلك :

حدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن ابن عباس ، ﴿ثم دنا فتدلى ﴾ قال : دنا ربه فتدلى .

حدثنا الربيع قال : ثنا ابن وهب ، عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر، قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وساق الحديث وفيه : (حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه ما شاء الله) .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وقد أخرج الأموي في مغازيه ومن طريقه البيهقي عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ ' قال : دنا منه ربه ، وهذا سند حسن وهو شاهد قوي لرواية شريك).

وقال السيوطي في (الدر المنثور)[2] : (وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله :﴿ثم دنا﴾ قال : دنا ربه فتدلى .

وقال القرطبي : (وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ثم دنا فتدلى ﴾أن معناه أن الله تبارك وتعالى دنا من محمد ﷺ فتدلى، وروى نحوه عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ)،

وقد سلم القرطبي بصحة هذا الوجه ثم تأوله بمثل تأويل الأشاعرة .

(١) (٢٧ /٤٤).

(٢) (٦٤٥/٧)

وقال البغوي في تفسيره[1] : (قوله عز وجل : ﴿ثم دنا فتدلى .فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ اختلفوا في معناه), وساق خبر عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما في أنه جبريل,ثم قال : (وقال آخرون : ثم دنا الرب عز وجل من محمد ﷺ فتدلى, فقرب حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس ، والتدلي هو النزول إلى الشيء حتى يقرب منه . وقال مجاهد: دنا جبريل من ربه ، وقال الضحاك : دنا محمد من ربه فتدلى فأهوى للسجود).

أقول : فأين من هذا دعوى الغزالي بالبداهة والقطع وعدم احتمال معنى آخر ؟

ولو كانت دلالة الكتاب والسنة فيها قطعية فلماذا تسأل عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ ولماذا يسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن معناها كما تفيده رواية عائشة ؟ ولماذا يفسرها ابن عباس رضي الله عنهما برؤية رسول الله ﷺ ربه؟ ولماذا يفسر قوله ﴿دنا فتدلى﴾ بأن هذا الدنو من الله إلى رسوله محمد ﷺ ؟ ولماذا يفهم مسروق هذا الفهم نفسه الذي فهمه ابن عباس؟

ولهذا تلقى أصحاب ابن عباس تفسيره بكل احترام ونقلوه للأمة، وتلقاه المفسرون من السلف والخلف بكل احترام وعدوه من وجوه تفسير آية النجم ، كما مر ذكره آنفاً.

ولو كان الأمر كما يدعي الغزالي لكان كثير من الصحابة والتابعين لا يفهمون البدهيات , ولكان أئمة التفسير لا يبالون بما يفسد عقائد المسلمين وعقولهم إذ ينقلون لهم تفاسير باطلة تخالف البدهيات والقطعيات

فمن يا ترى يجب أن تحذر الأمة من فتاواه ؟ ومن أحق بأن يوصف بأن بصره بالقران والسنة كليل , وحديثه عن الإسلام جريء , ويعتمد على هواه لا على المرويات ولا على ما ينقله المحدثون والمفسرون الثقات في تفسير القرآن الكريم ؟

إن أكثر أهل الحديث يعتقدون أن المراد بقول الله : ﴿تم دنا فتدلى ﴾هو جبريل عليه السلام أخذا ببيان رسول الله ﷺ الذي روته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود رضي الله عنهم.

(١) (٤/٢٤٥-٢٤٦)

ولكنهم مثل أهل التفسير من السلف لا يرون في تفسير ابن عباس وأنس ولا في رواية شريك خطورةً و لا ضلالاً مثل الغزالي ، لأنهم يتدبرون قوله تعالى: ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾ وقوله تعالى : ﴿وجاء ربك والملك صفا صفاً﴾ وغيرها الكثير من الآيات الدالة على الأفعال الاختيارية اللائقة بجلال الله تعالى, والذي يضيق ذرعا برواية شريك يضيق ذرعا بهذه الآيات فيتستر في تحريفها بالتأويل وبالمجاز ذلك السلاح الهدام الذي تلقفه المبتدعة فضلوا به وأضلوا عن تدبر نصوص المبدأ والمعاد والجنة والنار.

الرابع : قال الغزالي : (وقد ضقت ذرعا بأناس قليلي الفقه في القرآن كثيري النظر في الحديث ، يصدرون الأحكام ، ويرسلون الفتاوى، فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة , ولازلت أُحَذِّر الأمة من أقوام بصرهم بالقرآن كليل ، وحديثهم عن الإسلام جريء ، واعتمادهم كله على مرويات لا يعرفون مكانها من الكيان الإسلامي المستوعب لشئون الحياة).

وأسأل [المخدوعين بفكر الغزالي] : هل ابن عباس ومجاهد وعطاء ومسروق والبخاري وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والبغوي وابن كثير والقرطبي وغيرهم ممن شارك ابن عباس في فهم الإية ونقل رواية شريك (قليلوا الفقه وبصرهم بالقرآن كليل ، وحديثهم عن الإسلام جريء) إلى آخر ما ذكر من صفات الخزي ؟ أو أنهم من عظماء الفقهاء والمفسرين والمحدثين ومن الذين إذا قيس بهم الغزالي ومن اقتدى بهم من أمثال جهم بن صفوان وبشر المريسي وثمامة بن الأشرس والنظام والجاحظ والكوثري وأبي رية وأضرابهم من خصوم أهل السنة والتوحيد وأرباب التحريف والتعطيل عُدّ نقصاً في قدرهم ؟

الخامس : قال العزالي : (وقد جاء مسلم رحمه الله فعلق على رواية إمامه البخاري رحمه الله فبين ما بها من عطب , وذكر أن الخطأ جاء من شريك عن أنس بن مالك الذي ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وأخر، ثم إن مسلما مضى على منهج المحدثين ، فناقش عمل شريك الراوي عن أنس ، ثم رفض المتن ! وحسنا فعل).

أقول : الحمد الله الذي هدى الغزالي هذه المرّة فأشاد بمنهج المحدثين منا قضاً ما وصمهم به من قبل , ولكن :

١- إن الإمام مسلما رحمه الله جرى على طريقته في إيراد الحديث بطرقه المتعددة في باب واحد، فحديث الإسراء هذا ساقه مطولا من طريق شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك مرفوعا

٢- ثم ساقه مختصرا من طريق عبد الله بن هاشم العبدي عن بهز بن أسد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس.

٣- روى حادثة شق صدر النبي ﷺ في صباه من طريق شيبان بن فروخ ، عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس .

٤- قال بالنص : (حدثنا هارون بن سعيد الأيلي ، حدثنا ابن وهب قال : وأخبرني سليمان وهو ابن بلال ، قال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر، قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت وقدم فيه شيئا وأخر، وزاد ونقص) .

هذه سياقة مسلم لحديث شريك ، فهل ترى فيها ما يصح أن يوصف بأنه (بيان ما بها من عطب) ؟ وهل ذكر مسلم أن الخطأ جاء من شريك ؟ أم أن الغزالي مفتون بالمبالغة والمجازفة , وكثير من الجاهلين يرون في المبالغة والمجازفة ما يجذبهم لمفتريهما ؟

السادس قوله : (إن الخطأ في تفسير آية النجم ، والزعم بأن المعنى : دنا الجبار رب العزة فتدلى ,كان مثار استنكار السيدة عائشة رضي الله عنها فلما سألها مسروق يا أماه هل رأى محمد ربه؟ قالت : لقد قف شعر رأسي مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد

كذب ، ثم قرأت ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ ' ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب﴾ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين .

سبحان الله , إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، [إنما كان]سؤال مسروق هل رأى محمد ربه كما ذكره الغزالي ، لا عن دنو الجبار من محمد ﷺ واستنكار عائشة [إنما كان]لسؤال مسروق عن رؤية النبي لربّه وليس فيه استنكار لدنوّ الله من نبيه ﷺ.

فمن هو يا أتباع الغزالي قليل الفقه وكليل البصر بالقرآن والحديث والفقه فيهما ؟ ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ فلقد [فضحه الله و]أوقعه فيما يرمي به أولياءه الأبرار، وهل يطعن في البخاري وأمثاله إلا من خذله الله ، ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ .

وهذا لفظ الحديث الذي [شغب عليه] الغزالي من صحيح مسلم , (١- ١٦٠):

قال الإمام مسلم رحمه الله: (حدثنا ابن نمير. حدثنا أبي , حدثنا إسماعيل عن الشعبي عن مسروق ، قال : سألت عائشة : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : سبحان الله لقد قفّ شعري لما قلت .... وساق الحديث بقصته ، وحديث داود أتم وأطول, وحدثنا ابن نمير. حدثنا أبو أسامة، حدثنا زكريا عن ابن أشوع عن عامر عن مسروق ، قال : قلت لعائشة : فأين قوله : ﴿ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ ' قالت : إنما ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال ، وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته ، فسدّ أفق السماء).

وهنا سؤال : لماذا استنكرت عائشة سؤال مسروق عن رؤية رسول الله ﷺ لربه ؟ ولماذا لم تستنكر قوله فأين قوله : ﴿ثم دنا فتدلى﴾ الآيات ؟. ولماذا فسّر ابن عباس هذا الدنو بأنه دنو الرب من عبده ورسوله محمد ﷺ ؟

والجواب أنهما مع الصحابة والسلف [تدبّروا] القرآن فوجدوا أن الله ذكر فيه أنه يجيء وينزل , ويفعل ما يشاء , وأنه فعال لما يريد , ففهموا أن آية النجم من هذا الباب .

وأما رؤية الله في الدنيا فقد قرأوا قول الله تعالى : ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾.

فمن هنا لم يشق على عائشة استدلال مسروق بقوله تعالى : ﴿ثم دنا فتدلى﴾ على دنو الله من عبده ورسوله محمد ﷺ، وإنما أنكرت دعوى من يقول : أن محمدا رأى ربه , وترى أنه أعظم على الله الفرية , ومن هنا فَقِه ابن عباس تفسير قول الله : ﴿ثم دنا فتدلى﴾ على أنه دنو الجبار من رسول الله ﷺ.

ومن هناء , قبل أصحابه والمفسرون نقله [وإن خالفه أكثرهم]وجها من وجوه تفسير الآية ولم يضيقوا به ذرعا كما ضاق به الغزالي ، ولم يروا فيه عطباً ولا خطراً على الأمة كما اتّهم [الغزالي تجاوز الله عنه]. الإمام البخاري وأهل الحديث جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وبعد : فهل رأيتَ خلافا بين أهل الفقه وأهل الحديث في هذا الحديث ؟ أم رأيتَ رغبة جامحة في الشغب على أهل الحديث؟ وهل رأيت خطراً على الأمة من رواية هذا الحديث ودلالة على قلة الفقه في القرآن ؟ وعلى أن رواته يصدرون الأحكام والفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة ؟

وهل رأيت في ابن عباس ومسروق وشريك ومن اقتدى بهم أقواما بصرهم بالقرآن كليل وحديثهم عن الإسلام جريء ؟ [أم رأيت تطاولاً من جهلة الكتاب والصحفيين على العلم الشرعي وأهله]؟ومن الذي اقتدى به الغزالي في دعواه المنكرة ؟ لم يقتد بأئمة الفقه ولا الحديث بل بمتعصبي المقلدين الجامدين من الجهمية وغلاة الماتريدية والأشعرية وأحلاس الصوفية الذين ضلوا وأضلوا الناس عن هدي الكتاب والسنة [بفهم أئمة أهل الفقه والحديث في القرون الخيّرة]

ولم يكف هذا البلاء الغزالي وأضرابه , [لأن النفس والشيطان حريصان على زيادة الأمة حيرة وبلبلة وضياعا].

(شغب الغزالي على حديث :" ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ")

قال :(وأم المؤمنين عائشة فقيهة محدثة أديبة، وهى واقفة عند نصوص القرآن ، ترفض أدنى تجاوز لها، وعندما سمعت أن النبي ﷺ وقف على حافة البئر التي دفن المشركون بها يناديهم بأسمائهم كان لها تعليق جدير بالتدبر .

والرواية في هذا أن النبي ﷺ مشى واتبعه أصحابه حتى قام على شفة الركيّ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم :" أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً " ؟ فقال عمر: يا رسول الله ! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال : "والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ". أنكرت عائشة عبارة ما أنتم بأسمع لما أقول منهم مستدلة بالآية الشريفة : ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ وصححت الرواية : "ما أنتم بأعلم لما أقول منهم ".قال قتادة مبينا الرواية الأولى ومدافعا عنها : أحياهم الله ، حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيراً.

والذي أراه أن الرواية الأولى لا تحتاج إلى هذا الدفاع ، فالموتى لم يفنوا وصوت النبوة يبلغهم وهم في سجين ، ولكن عائشة رضي الله عنها لا تقبل ما يعارض ظاهره القرآن ، فالموتى عادة لا يُكَلَّمون ولا يَسْمعون ، وإنما يعلمهم الله بما يشاء، فإذا علموا فكأنهم سمعوا، والعبارة مقبولة على طريق المجاز.

وكل ما نحرص نحن عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه , فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها مستغرقون في شؤون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي , والفقهاء المحققون إذا أرادوا بحث قضية ما , جمعوا كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة، وحاكموا المظنون إلى المقطوع,وأحسنوا التنسيق بين شتى الأدلة . . . أما اختطاف الحكم من حديث عابر،

والإعراض عما ورد في الموضوع من آثار أخرى، فليس عمل العلماء, فقد كان الفقهاء على امتداد تاريخنا العلمي هم القادة الموثقين للأمة الذين أسلمت لهم زمامها عن رضى وطمأنينة , وقنع أهل الحديث بتقديم ما يتناقلون من آثار، كما تقدم مواد البناء للمهندس الذي يبني الدار ويرفع الشرفات ، والواقع أن كلا الفريقين يحتاج إلى الآخر ، فلا فقه بلا سنة، ولا سنة بلا فقه ، وعظمة الإسلام تتم بهذا التعاون , والمحنة تقع في اغترار أحدهما بما عنده ، وتزداد مع الإصرار وضعف البصيرة)[١].

مناقشة:

أولاً: إن عائشة رضي الله عنها كما ذكر الغزالي فقيهة محدثة وقّافة عند نصوص القرآن ، وإن أصحاب رسول الله ﷺ كذلك فقهاء محدثون وقافون عند نصوص القرآن .

وفي الصحابة الذين رووا أحاديث قليب بدر من هو أفقه وأعلم منها ألا وهو الفاروق الخليفة الراشد الذي شهد له رسول الله ﷺ بالعلم وأمر بالاقتداء به ضمن الخلفاء الراشدين ، وهو الذي وصفه حبر الأمة بأنه كان وقافا عند كتاب الله[٢]

ورواة هذه الأحاديث من الصحابة أئمة في الفقه والحديث معاً , منهم : ابن مسعود وأبو طلحة الأنصاري وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك رضي الله عنهم , وهم جميعاً وقافون عند كتاب الله ، ووقافون جميعا عند سنة رسول الله ﷺ.

وينبغي أن نقصد بمدحهم وإظهار مكانتهم حفز الأمة إلى اتباعهم في التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واحترام نصوصهما , لا أن نجعل مدحهم وسيلة إلى رفض ما لا نهواه من سنن رسول الله ﷺ الثابتة، موهمين السذج أن هؤلاء الأفاضل هم أسوتنا في التطاول على سنة رسول الله ﷺ بَرَّأهم الله [وبَرَّأنا من ذلك].

---

(١) السنة النبوية : (ص ٢٣).

(٢) البخاري : ٦٥ - كتاب التفسير، سورة الأعراف ، حديث (٤٢ ٤٦).

ولقد عُرِفَتْ عائشة رضي الله عنها بقوة ردع من يخالف سنة رسول الله ﷺ , وقد سألتها معاذة بنت عبد الله العدوية : ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، فقالت – مستنكرة السؤال – : (أحرورية أنت) ؟ قالت : لا, ولكني أسأل ، قالت : (كان يصيبنا ذلك ، فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة) [(١)].

ثانياً: قوله : (قال قتادة مبينا الرواية الأولى ومدافعا عنها: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخا وتصغيراً.

والذي أراه أن الرواية الأولى لا تحتاج إلى هذا الدفاع ، فالموتى لم يفنوا وصوت النبوة يبلغهم وهم في سجين ، لكن عائشة رضي الله عنها لا تقبل ما يعارض في ظاهره لفظ القرآن .

فالموتى عادة لا يكلمون ولا يسمعون ، وإنما يعلمهم الله بما يشاء، فإذا علموا، فكأنهم سمعوا، والعبارة مقبولة على طريق المجاز).

أقول : إن المسلم لتأخذه الدهشة من هذه الخطة التي وقع فيها الغزالي[تجاوز الله عنّا وعنه] وقد لا يدرك أنها إنما تخالف السنة وأهلها, فالحديث لا يحتاج في نظره إلى دفاع إذ هو يسلّم بما دل عليه وزيادة .

إذ أنّ الحديث لم يبيّن أنهم أحياء، والغزالي يقول : (الموتى لم يفنوا) ومعناه : أنه يعتقد أنهم أحياء في قبورهم أو في سجين .

والرسول ﷺ قال – وهو على شفة الركى عندما خاطب الكفار – : "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " ، والغزالي يقول : (فصوت النبوة يبلغهم وهم في سجين). وهذا من الغيب الذي يحتاج العلم به إلى دليل من الوحي، فأين هذا الدليل ؟

---

(١) أخرجه البخاري :٦ – كتاب الحيض ، ٢٠–باب لا تقضي الحائض الصلاة حديث (٣٢١) ومسلم:٣ كتاب الحيض ، حديث (٦٧–٩ ٦).

[أما أنا فيظهر لي أن الغزالي كان]متفانيا في توجيه من يصله صوته إلى غير منهج أهل الحديث الذي شرق به ، وقد وجد هنا أن عائشة رضي الله عنها خالفت الرواية فركض خيله [أو حميره] للاستفادة من ذلك في توثيق منهجه ,[استثناء من عادته عدم الاهتمام بالتوثيق].

انظر إليه يقول بعد قبوله بمضمون الحديث: (ولكن عائشة رضي الله عنها لا تقبل ما يعارض في ظاهره لفظ القرآن).

وقد يفهم منه المخدوعون به أنه لا يرى تعارضا بين معنى الحديث ومعنى الآية بل يراهما متفقان في المعنى ، وفي هذا إساءة بالغة إلى أم المؤمنين رضي الله عنها إذ يفيد أنها ترد سنة رسول الله ﷺ بمجرد رأيها أن الحديث يخالف في ظاهره - لا معناه - لفظ القرآن — لا معناه .

برأ الله أم المؤمنين من هذا المذهب الرديء وعافى الأمة في كل عصر من الانحدار إليه. والحقيقة أن أم المؤمنين من أعلم أصحاب رسول الله ﷺ وافقههم , ومن أشدهم التزاماً ودعوة إلى سنة رسول الله ﷺ لكنّها ظنت أن عبد الله بن عمر قد وهم في رواية هذا الحديث فاعترضت عليه ، ولو بلغها عن الصحابة الآخرين أنهم سمعوا من رسول الله ﷺ ما رواه ابن عمر لما وسعها إلا التسليم لحديث رسول الله ﷺكما هو شأنها وشأن أصحاب رسول الله ﷺ ومتبعي سنتة جميعاً .

بل قد نقل عنها ما [يُفْهم منه]يثبت تراجعها كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وإضافة إلى ما سبق فإن في كلامه هذا وما بعده تهافتا وتناقضاً، فمثلا هو يزعم أن (صوت النبوة يبلغهم وهم في سجين) ثم تراه يقول بعد قليل متأولاً حديث : (والعبارة مقبولة على طريق المجاز),والحقيقة تخالف المجاز .

وعنده من التناقض في كتاباته الشيء الكثير يدركه كلّ من أخذ بنصيب يذكر من العلم.

ثالثا: قوله : (وكل ما نحرص عليه نحن شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه ، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها مستغرقون في شؤون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي).

(أ) لماذا يوصي داع إلى الله [ولو على منهاج الفكر] بشد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه ، ولا يوصي بشد الانتباه لسنة رسول الله ﷺ ؟ أليس في هذا [شبه بفكر] الفرقة المشهورة بالقرآنية التي تعتمد القرآن وحده في فهم الإسلام [والعمل به] ؟ بل, أهذا انحياز كامل [لتلك الفرقة الضالة] أم أنه كان يقدم إليها رجلا ويؤخر أخرى.

ب- ألم يدرك أن الله يأمر في كتابه بقوة وحزم بشد الانتباه إلى سنة رسول الله ﷺ ؟ في آيات كثيرة كقوله : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾وقوله : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾وقوله : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً﴾وقوله : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، إن كثيرا من آيات ألقرآن لا تفهم إلا بما في السنة من بيان رسول الله ﷺ وتوضيحه ، فإذا نُصِح الناس بشد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه دون شد الانتباه إلى السنة [بل الشغب على أهلها]، وقعوا فيما وقع فيه الخوارج الذين استهانوا بالسنة، فوقعوا فيما وصفهم به رسول الله ﷺ.

فعن زيد بن خالد الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه حين ساروا إلى الخوارج ، فقال علي رضي الله عنه :(أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ، ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى الله لهم على لسان نبيهم ، لاتكلوا عن العمل " [١]

(١) أخرجه مسلم ١٢ - كتاب الزكاة، ٤٨ - باب التحريض على قتل الخوارج حديث ١٥٦ .

نسأل الله أن يدرأ عن الإسلام والمسلمين شر الشُّبَه التي تلبس الحق بالباطل ,وتمزج الاعتراف بالإنكار, وتهز الثقة والإيمان بسنة رسول الله ﷺ ، وتؤدي إلى الزيغ والضلال :

(١) كيف عرف الغزالي أن جملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عن معاني القرآن مستغرقون في شؤون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي) ؟

فما هي هذه الشؤون التي هم مستغرقون فيها، أهي الأغاني والموسيقى ؟ ، أم هى خرافات وأساطير وترهات الصوفية وكشوفاتها وخيالاتها، أم هى الاستغناء بفلسفة ومنطق اليونان وبناء عقائد الإيمان عليها ؟ أم هى التعايش مع أساطير الروافض وأكاذيبهم على الله ورسوله ﷺ وعلى أهل البيت الأبرياء. ؟[أم هي الاعجاب بالنظريات الغربية والشرقية دون تحقيق]؟

إن أهل الحديث وحدهم – والحمد لله – يمتازون عن غيرهم بأنهم لا يحجبهم شيء من حواجز الباطل عن فهم القرآن والسنة وما كان عليه السلف الصالح من [عقيدة وعبادة ومعاملة] ، ولكثير من غيرهم المزاعم والادعاءات .وأن كل أن كل ما قذف به الغزالي هذه الطائفة المباركة الناجية من النار إن شاء الله ,كل ما قذفهم به إنما هو من الافك والعدوان بغير حق ولهم في رسل الله وأنبيائه وبقية أوليائه أسوة حسنة.

د- وأَسْأل المخدوعين بجعجعة الغزالي : ما هو الإثم الذي ارتكبه أهل الحديث وما الذنب الذي جنوه في حق الإسلام برواية هذا الحديث حتى يحمل عليهم هذه الحملات الهوجاء ويرميهم بهذه الفواقر.

هل ضلوا في فهم هذا الحديث ثم قادوا الأمة إلى الضلال ؟

لو كان منصفا وغيورا على الإسلام فعلاً، لوجّه قذائفه إلى فرق الضلال من قبورية وصوفية على كثرة فرقها وشيعية على تشعبها، الذين لم يرفعوا [بعقيدة]التوحيد رأساً، بل يعتقدون [فيمن نُسبِت إليهم أوثان المقامات أو المزارات] أنهم يعلمون الغيب ، وأن فيهم أقطابا وأوتادا يتصرفون في الكون ويسمعون دعاء المستغيثين ولو كان بينهم وبينهم بُعْد المشرقين , وهم

يطلبون المدد من البدوي والرفاعي والدسوقي والجيلاني والحسين وزينب ونفيسة والشاذلي والتيجاني والميرغني [وابن عربي والخضر وكثير غيرهم]ويشيدون لهم ويشدون إليها الرحال ، فلو كانت هناك غيرة على الإسلام والقرآن والتوحيد لسدّد الغزالي سهامه إلى [الوثنيين الذين يرتكبون هذه الموبقات ويجنون] على توحيد [الله بالعبودية] أفظع الجنايات,ولكنه الهوى [والضلال وفقد] البصيرة :﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ .

رابعاً: قوله : (والفقهاء المحققون إذا أرادوا بحث قضية ما , جمعوا كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة، وحاكموا المظنون إلى المقطوع , وأحسنوا التنسيق بين شتى الأدلة).

أقول : ما قاله في الفقهاء المحققين ، الأمر فيهم كما ذكرت إلا قوله : (حاكموا المظنون إلى المقطوع)، فليس الأمر كما ذكر ، لأنهم إذا صح الحديث عندهم فهو مذهبهم ، ويشاركهم في هذا المحققون من أهل الحديث ، فإنهم في غاية الالتزام بهذا المنهج وفي غاية الإحكام والإتقان

ومع الأسف فإن الغزالي لم يستفد من هذا المنهج و لم يلتزم به في بحوثه .

خامسا: (قال الغزالي : أما اختطاف الحكم من حديث عابر، والإعراض عما ورد في الموضوع من آثار أخرى، فليس عمل العلماء).

أقول : هذا الكلام دليل على التخبط والجهل , فأين الحكم الذي اختطفه أهل الحديث الذين يشغب عليهم الغزالي ومن يشاركه في هذا الزعم الباطل.

الحقيقة أن الغزالي هو الذي يختطف الأحكام [بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير].

والحقيقة مرة أخرى أنه خاض معركة لم يكن من فرسانها ولا يحسن الكر والفر فيها، وليس في جعبته شيء من أسلحتها. ومن هنا لم نجده

سادساً: قال : (وقد كان الفقهاء على امتداد تاريخنا العلمي هم القادة الموثقين للأمة الذين أسلمت لهم زمامها عن رضا وطمأنينة . وقنع أهل الحديث بتقديم ما يتناقلون من آثار، كما تقدم مواد البناء للمهندس الذي يبني الدار، ويرفع الشرفات).

أقول : أولا: إن هذا الكلام مستوحى من عالم الخيال ومخالف للواقع الواضح ، فإن الأمة تحترم أئمة الحديث كما تحترم الفقهاء، بل معظم الفقهاء [البارزون هم] من أئمة الحديث وما تسنموا هذه المكانة العالية في نفوس الناس إلا من أجل احتفائهم بالسنة واتباعهم لها.

وما هانت فرق الضلال وأئمتها إلا لبعدهم عن السنة وعن الاهتداء بها وازدرائهم لأهلها.

ويبدو من تصرفات الغزالي ومواقفه أنه في جهل مطبق بتاريخ المحدثين المشرق , وما خلدوه للإسلام والمسلمين من علوم عظيمة وتراث شامخ لا يكون للرجل مكانة إلا إذا عرفها وعرف قدرها وارتوى من نميرها.

كما يبدو أنه يجهل الحركة العلمية الهائلة التي [أظهر الله بها] عباقرة الأمة من أئمة الحديث لتنهل من ينابيع العلم النافع والمعرفة الصحيحة، ولم يعلم عن المؤسسات والمراكز العلمية التي قامت في الشرق والغرب لخدمة السنة وعلومها، وتاريخ عباقرتها دراسة وتحقيقا وتخريجا وتفقهاً, ولم يعلم أن طلاب العلم أن في الشرق والغرب ، قد أقبلوا بجد وعزم على خدمة التراث النبوي وعلومه التي خلدها عباقرة المحدثين ، أو لو كان أئمة الحديث قد نزعت منهم ثقة الأمة أفيحصل كل هذا ؟

ثانيا : إن في المحدثين فقهاء على أوسع نطاق من الفقه في العقائد والعبادات والمعاملات يتسنمون قمة الاجتهاد فلم (يقنعوا بتقديم ما يتناقلونه من آثار للفقهاءكما تقدم موارد البناء للمهندس).

فكلامه هذا فيه جهل بالغ بالواقع وتقليد أعمى لأقوال غلاة المتعصبين .

ثالثا: إن الله لا يرضى للأمة أن تلغي عقولها وتسلم زمامها لأحد من خلق الله غير رسله .

فالله يأمرهم بالاعتصام بالكتاب والسنة وبالاحتكام إلى الله ورسوله ، ويذم أشد الذم من لا يستخدم عقله في فهم الكتاب والسنة ويركن إلى التقليد الأعمى، ولا يرضى الله إلا أن تسلم هذه الأمة كلها زمامها لرسوله الكريم ﷺ :﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ، ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾

رابعا: أن الأئمة لا يرضون أن تسلم لهم الأمة زمامها، فلقد حاربوا التقليد وتسليم الأزمة أشد المحاربة، وأقوالهم كثيرة ومدونة يستفيد منها العقلاء المنصفون ، ويدير لها ظهورهم غلاة المتعصبين المقلدين .

ثم قال بعد كل ما جنته يداه وما أنزل بأهل الحديث من العدوان :

(والواقع أن كلا الفريقين يحتاج إلى الآخر، فلا فقه بلا سنة، ولا سنة بلا فقه ، وعظمة الإسلام تتم بهذا التعاون)

[فإذا كان يعي ويعني ما يقول فلماذا أوقع نفسه فيما قدّم من إفك وبهتان وظنّ أثم في أئمة الحديث والفقه منذ القرن الأول حتى القرن الأخير]؟.

خامسا: أن الله قد اكمل بناء صرح هذا الدين قال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ومهمة العلماء : الفهم والعمل , وتفهيم الناس ودعوتهم إلى الفهم والعمل. ،

(الأحاديث الواردة في سماع الأموات)

١-قال الإمام البخاري[(١)] رحمه الله : (حدثني عبد الله بن محمد أنه سمع روح بن عبادة، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قال : ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش ، فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه ، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان بن فلان ، ويا فلان ابن فلان : أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا، قال : فقال عمر: يا رسول الله ! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ : "والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ".

قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما).

٢- وقال الإمام البخاري[(٢)] : (حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثني أبي عن صالح ، حدثني نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره قال : ((اطلع النبي ﷺ على أهل القليب ، فقال : "وجدتم ما وعد ربكم حقاً"، فقيل له : تدعوا أمواتاً؟ قال:" ما أنتم بأسمع منهم ، ولكنهم لا يجيبون" .

قال : وحدثنا عثمان ، حدثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : وقف النبي ﷺ على قليب بدر، فقال : " هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً" ؟

---

(١) في صحيحه ، ٦٤-كتاب المغازي ، ٨ -باب قتل أبي جهل حديث (٣٩٧٦)، ورواه أحمد:(٤ /٢٩) من طريق روح به ، ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة : (٢ /٦١٦).

(٢) كتاب الجنائز، ٨٦- باب ما جاء في عذاب القبر، حديث (١٣٧٠)، (١ /٤٢١).

ثم قال : "إنهم الآن يسمعون ما أقول", فذكر لعائشة، فقالت : إنما قال النبي ﷺ إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت : (إنك لا تسمع الموتى حتى قرأت الآية).

٣- وقال : حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا محمد بن فليح بن سليمان , عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب ، قال : هذه مغازي رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث ، فقال رسول الله ﷺ وهو يلقيهم : "هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟" ، قال موسى : قال نافع : قال عبد الله : قال ناس من أصحابه : يا رسول تنادي ناسا أمواتاً؟ قال رسول الله ﷺ : "ما أنتم باسمع لما قلت منهم "[١]

قال الحافظ : قوله قال موسى بن عقبة هو بالإسناد المذكور إليه وعبد الله هو ابن عمر يعني أن الإسناد متصل وليس بمعلق.

٤- وقال النسائي[٢]رحمه الله : أخبرنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا يحيى، قال : حدثنا سليمان وهو ابن المغيرة، قال : حدثنا ثابت ، عن أنس ، قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة، أخذ يحدثنا عن أهل بدر فقال : إن رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس ، قال : هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً، قال عمر: والذي بعثه بالحق ما أخطؤا تيك فجعلوا في بئر، فأتاهم النبي ﷺ :" فنادى يا فلان بن فلان ، يا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقاً"، فقال عمر: تكلم أجسادا لا أرواح فيها، فقال:"ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" .

---

(١) ٦٤ ك المغازي ، ١ ٢ - باب ، حديث ٢٦ ٠ ٤).

(٢) (٤/١٠٩-١١٠) ٢١ - كتاب الجنائز، ١١٧ - باب أرواح المؤمنين ، حديث (٢٠٧٤ ، ٢٠٧٥)، وروى الأول أحمد: (٢٧/١) من طريق سليمان بن مغيرة ، والثاني الإمام أحمد: (٣ /٩ ١ ٢-٢٢٠) من طريق عبدالصمد، ثنا حماد عن ثابت بأطول منه . ورواه البيهقى في الدلائل : (٣ /٤٨) من طريق أبى داود الطيالسى عن سليمان بن المغيرة عن ثابت به.

٥- وأخبرنا سويد بن نصر، قال : أنبأنا عبد الله ، عن حميد عن أنس ، قال: سمع المسلمون من الليل ببئر بدر ورسول الله ﷺ قائم ينادي :" يا أبا جهل ، ويا شيبة بن ربيعة، ويا عتبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف , هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني رب حقا" قالوا: يا رسول الله : أو تنادي قوما قد جيفوا؟ فقال : "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا".

قال الحافظ في الفتح:(و لم ينفرد عمر ولا ابنه بحكاية ذلك ، بل وافقهما أبو طلحة كما تقدم).

٦- وللطبراني من حديث ابن مسعود مثله بإسناد صحيح [١]

٧- ومن حديث عبد الله بن سيدان نحوه[٢]، وفيه قالوا: يا رسول الله ، وهل يسمعون ؟ قال " يسمعون كما تسمعون ، ولكن لا يجيبون " , وفي حديث ابن مسعود، ولكنهم اليوم لا يجيبون" .

٨- ومن الغريب أن في المغازي لابن إسحاق من رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة، وفيه :"ما أنتم بأسمع لما أقول منهم"[٣]

وأخرجه أحمد بإسناد حسن[٤]

---

(١) مجمع الزوائد: (٦ / ٩١)، وقال الهيثمى : (ورجاله رجال الصحيح).

(٢) ((مجمع الزوائد)) : (٦ /٩١)، وقال : (رواه الطبراني وفيه عبد الله بن سيدان مجهول ذكره ابن حبان في الثقات في طبقة الصحابة، وذكره في التابعين ، وروى عن عدد من الصحابة، وروى عن ميمون بن مهران وحبيب بن أبي مرزوق وثابت بن الحجاج وجعفر بن برقان . انظر: (الجرح والتعديل): (٥ /٦٨)، واللسان : (٣ /٩ ٩ ٢).

(٣) رجعت إلى السيرة لابن هشام فلم أجد ما أشار إليه الحافظ ، بل وجدت فيه ما يوافق المشهور عنها رضي الله عنها وهو: "لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقا" (٦٣٩/٢).

(٤) في (المسند) : (٦ /٧٠ ١) بلفظ : "ما أنتم بأفهم لقولي منهم " أو "لهم أفهم لقولي منكم " ، ذكره إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها وذكره الهيثمي في (المجمع) : (٦ /٩٠)، وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن إبراهيم لم يسمع من عائشة، لكنه دخل عليها. وذكره بلفظ آخر وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات (٦ /٩١).

فإن كان محفوظا فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة[1]

(٩)قال البخاري[2] رحمه الله :

حدثنا عياش بن الوليد، حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان ، فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد ﷺ , فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله , فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار، فقد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعاً، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ، ثم رجع إلى حديث أنس قال : وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ,كنت أقول ما يقول الناس , فيقال : لا دريت ولا تليت , ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين " رواه مسلم[3] وأبو داود[4] ، والنسائي[5] .

---

(١) (فتح الباري) : (٧ /٣٠٣-٣٠٤).

(٢) (٢٣-٨٦) باب ما جاء في عذاب القبر، حديث (٤ ٣٧ ١).

(٣)٥١- كتاب الجنة، ١٧ - باب عرض مقعد الميت ، حديث (٧٠) (٤ /١ ٠ ٢٢) من طريق شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة به.

(٤) ٥١ كتاب الجنائز، ٧٨ - باب المشى في النعل بين القبور، حديث (٣٢٣٢)، (٣ /٦ ٥٥).

(٥)٢١ - كتاب الجنائز، ١٠٩ - ١١٠، المسألة في القبر، ومسألة الكافر، حديث (٢٠٥٠)، (٣ /٩٧).

(رأي أم المؤمنين عائشة في سماع الأموات) - :

وقال الإمام البخاري[1] : حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : إنما قال النبي ﷺ "إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق " وقد قال الله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾.

وقال : حدثني عبيد الله بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة عن هشام ، عن أبيه قال : ذكر عند عائشة رضي الله عنها أن ابن عمر رفع إلى النبي ﷺ :" إن الميت يعذب في قبره "، فقالت : وَهِلَ ، إنما قال رسول الله ﷺ :" إنه ليعذب بخطيئته وذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن" .

قالت : وذلك مثل قوله : أن رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين ، فقال لهم ، ما قال : "إنهم ليسمعون ما أقول" ، إنما قال : "إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ". ثم قرأت: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ ، ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾

يقول : "حتى تبوؤا مقاعدهم من النار".

ورواه من طريق عبدة عن هشام بنحوه[2] .

(تعليق)

اتضح من عرض هذه الأحاديث : حديث عبد الله بن عمر وحديث أبيه عمر ، وحديث أبي طلحة وحديث ابن مسعود، وحديث أنس بن مالك وعبد الله بن سيدان ، وعائشة نفسها عند أحمد والطبراني وابن إسحاق رضي الله عنهم جميعاً , ومعرفة صحتها وثبوتها , صدْق ما رواه عبد الله بن عمر وأنه ما كان واهما على رسول الله ﷺ في رواية هذا الحديث , بل ضبطه حق الضبط ويؤيد ضبطه رواية هؤلاء الأئمة من الصحابة .

---

(١) ٢٣ الجنائز، ٨٦ - باب ما جاء في عذاب القبر، حديث (١ ٣٧ ١) (٨ /١ ٢ ٤).

(٢) ٢٣ الجنائز، ٨ - باب قتل أبي جهل حديث (٣٩٧٨)، (٣ /٨٦). وأخرجه مسلم ، ١١.كتاب الجنائز ٩-باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه حديث (٣٦)، (٢ /٦٤٣). وأحمد (٦ /٣٧٦، ٢ /٣١، ٣٨).

ورواية أم المؤمنين [الأخرى تؤيد ذلك] إن كان محفوظا عنها، وليس ذلك ببعيد، فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، ولكونها لم تشهد القصة كما قال الحافظ ابن حجر.

ولو لم ترجع فإن الحق مع من روى ذلك عن رسول الله ﷺ .

أولاً: لأن معظمهم حضروا وشهدوا القصة وغابت عنها عائشه رضي الله عنها.

ثانياً: لأنهم يبعد خطؤهم ووهمهم جميعاً .

ثالثا: لأنهم مثبتون وهي نافية ,[والمثبت مقدّم على النافي].

رابعا: ما روته لا يعارض ما رواه هؤلاء ، ثم إن الأحاديث لا تعارض القرآن ، فقد أمكن الجمع بينها وبين الآيات الكريمة.

(أقوال الفقهاء في أحاديث سماع الأموات)

لقد قبل جمهور العلماء هذه الأحاديث وسلموا بصحة دلالاتها وأنها لا تخالف القرآن:

أقوال الشافعية :

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) [1] وهو يشرح أحاديث البخاري في باب ما جاء في عذاب القبر:

حديث عائشة رضي الله عنها قالت : إنما قال رسول الله ﷺ: "إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول لهم حق "، وهذا مصير من عائشة إلى رد رواية ابن عمر المذكورة .

وقد خالفها الجمهور في ذلك وقبلوا حديث ابن عمر لموافقته ما رواه غيره عليه .

وأما استدلالها بقوله تعالى : ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ ، قالوا: معناها: لا تسمعهم سماعاً ينفعهم ، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله).

---

(1) (٢٣٤/٣)

وقال الحافظ أيضا : وجه إدخال حديث ابن عمر، وما عارضه من حديث عائشة في ترجمة عذاب القبر، أنه لما ثبت من سماع أهل القليب وتوبيخه لهم دل إدراكهم الكلام بحاسة السمع على جواز ادراكهم ألم العذاب ببقية الحواس , بل بالذات إذ الجامع بينهما وبين بقية الأحاديث أن المصنف أشار إلى طريق الجمع بين حديثي ابن عمر وعائشة، بحمل حديث ابن عمر على أن مخاطبة أهل القليب وقعت وقت المسألة، وحينئذ كانت الروح قد أعيدت إلى الجسد ، وقد تبين من الأحاديث الأخرى أن الكافر المسؤول يعذب، وأما إنكار عائشة ، فمحمول على غير وقت المسألة ، فيتفق الخبران(١).

وقال شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي (ت٣٧١): (كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه، ولكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته واثبته غيرها ممكن لأن قوله تعالى:﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ لا ينافي قوله ﷺ: "إنهم الآن يسمعون" لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في آذان السامع : فالله هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ بذلك. وأما جوابها بأنه إنما قال: "إنهم ليعلمون". فإن كانت سمعت ذلك، فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤكدها) (٢) وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨): (العلم لا يمنع السماع والجواب عن الآية أنه لا يسمعهم وهم موتى)(٣)

وقال النووي رحمه الله : (قوله ﷺ في قتلى بدر : "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " قال المازري قال بعض الناس : الميت يسمع عملاً بظاهر هذا الحديث , ثم أنكره المازري وادعى أن هذا خاص في هؤلاء.

---

(١) الفتح : (٢٣٥/٣).

(٢) الفتح : (٧ /٣ ٠ ٣-٤ ٠ ٣)، وعمدة القاري: (٧ ١ /٩٣).

(٣) (٣٠٣/٧).

ورد عليه القاضي عياض وقال : يحمل سماعهم على ما يحمل عليه سماع الموتى في أحاديث عذاب القبر وفتنته التي لا مدفع لها، وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون في الوقت الذي يريد الله .

هذا كلام القاضي , وهو الظاهر المختار الذي يقتضيه أحاديث السلام على القبور والله أعلم).

وقال السيوطى على قول عائشة : (وَهِلَ ابن عمر، إنما قال النبي ﷺ , إنهم الآن ليعلمون ، أن الذي كنت أقول لهم هو الحق) , قال : قال البيهقي : العلم لا يمنع السماع , والجواب عن الآية أنه لا يسمعهم وهم موتى، ولكن الله أحياهم حتى سمعوا كما قال قتادة، ولم ينفرد ابن عمر بحكاية ذلك بل وافقه والده عمر وأبو طلحة وابن مسعود وغيرهم . بل ورد – أيضاً – من حديث عائشة أخرجه أحمد بإسناد حسن ، فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة)[1] .

أقوال المالكية :

قال الإمام القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب السهيلي :

(وعائشة لم تحضر , وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه ﷺ . وقد قالوا له يا رسول الله: أتخاطب قوماً قد جيفوا: أو أجيفوا فقال: " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" , وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين ، جاز أن يكونوا سامعين إما بآذان رؤوسهم إذا قلنا أن الروح تعاد إلى الجسد أو إلى بعض الجسد عند المسألة وهو قول الأكثر من أهل السنة , وإما بأذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح ومن غير رجوع منه إلى الجسد أو إلى بعضه .

وقد روي أن عائشة احتجت بقول الله تعالى : ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ , وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي﴾ أي أن الله هو الذي يهدي ويوفق

---

(١) (زهر الربى على المجتبى) : (٤ /١١١).

ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت ، وجعل الكفار أمواتاً وصُمّاً على جهة التشبيه بالأموات وبالصم ، فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة، إذا يشاء , لا نبيه ﷺ ولا أحد، فإذاً لا تعلق بالآية من وجهين : أحدهما أنها نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان . والثاني : أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله ، فإنه لا يسمعهم إلا إذا شاء هو، ويفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير)[1] .

قال الحافظ : (وقوله : لم تحضر , صحيح ، ولكن ذلك لا يقدح في روايتها لأنه مرسَلُ صحابي وهو محمول على أنها سمعت ذلك ممن حضروا أو من النبي ﷺ بعد.

وقال العلامة عبد الواحد بن التين السفاقسي (ت ٦١١) شارح البخاري : (لا معارضة بين حديث ابن عمر، والآية لأن الموتى لا يسمعون بلا شك لكن إذا أراد الله إسماعهم ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع كقوله تعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض﴾ الآية. وقوله : ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها﴾ الآية.

وقال ابن عطية : (فيشبه أن قصة بدر خَرْقُ عادة لمحمد ﷺ في أن رد الله إليهم إدراكا سمعوا به مقاله ، ولولا إخبار رسول ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين [2]

وقال القرطبي في (التذكرة)[3] بعد أن ذكر حديث أنس عن عمر رضى الله عنه : (إعلم رحمك الله أن عائشة رضي الله عنها قد أنكرت هذا المعنى , واستدلت بقوله تعالى : ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ وقوله تعالى﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ ولا تعارض بينهما، لأنه جائز أن يكون قد سمعوا في وقتٍ ما أو في حال ما , فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص ، وقد جاء هنا).

---

(١) الروض الأنف " : (٥ /٧٥ ١ -٧٦ ١)، وفتح الباري " : (٣ /٣٥ ٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٣ / ٢٣٢).

(٣) ص ١٨٠

وقال العلامة أبو عبد الله محمد بن خليفة الوشناني الأبي المالكى[١] (قوله : "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " (م) ذهب بعضهم إلى أن الميت يسمع , لظاهر هذا الحديث والذي عليه المحصلون أن الله خرق العادة في هؤلاء بأن رد إليهم أرواحهم ليقرعهم ﷺ , وقد أنكرت عائشة رضي الله عنها الحديث وحولت لفظه, قالت: إنما قال : "إنهم يعلمون الآن القول الحق ما كنت أقول لهم" [٢] .

(ع) ويحمل سماع هؤلاء على ما يحمل عليه سماع الموتى في أحاديث عذاب القبر وفتنة السؤال التى لا مدفع فيها، وذلك بإعادة الروح إلى الجسد أو إلى جزء منه) .

و (م) رمز المازري ، و (ع) رمز عياض .

أقوال الحنفية :

وقال العلامة بدر الدين العيني رحمه الله في عمدة القاري[٣] شرح صحيح البخاري : (فإن قلت:ما وجه ذكر حديث ابن عمر وحديث عائشة – وهما متعارضان – في ترجمة عذاب القبر؟

قلت : لما ثبت سماع أهل القليب كلامه ﷺ وتوبيخه لهم , دل إدراكهم كلامه بحاسة السمع على جواز إدراكهم ألم العذاب ببقية الحواس ، فحسن ذكرهما في هذه الترجمة .

ثم التوفيق بين الخبرين : أن حديث ابن عمر محمول على أن مخاطبة أهل القليب كانت وقت المساءلة، ووقتها وقت إعادة الروح إلى الجسد، وقد ثبت في الأحاديث الأخرى أن الكافر المسؤول يعذب , وأن حديث عائشة محمول على غير وقت المساءلة فبهذا يتفق الخبران).

---

(١) في شرحه لصحيح مسلم (٢٣٥/٧).

(٢) ملاحظة: وجدت في كلام الأبي ، عقب كلام المازري قوله : (والشك في سماع الموتى يزيل الثقة بالعلوم الضرورية). فاشتبه عليّ هل هو من كلام المازري أو الأبي، وغالب ظني أنه من كلام الأبي لأنه لا ينسجم مع رأى المازرى .

(٣) (٢٠٢/٨)

وقال العلامة أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي[1] (ت ١١٣٨): (الحديث لا يقتضي أنه المسمع لهم ، بل يقتضي أنهم يسمعون فليكن المسمع لهم في تلك الحالة هو الله تعالى لا هو ﷺ ، على أنه يمكن أن الله تعالى أحياهم ، فلا يلزم إسماع الموتى بل الأحياء، كما قال قتادة , وأيضاً الآية في الكفرة، والمراد أنك لا تجعلهم منتفعين بما يسمعون منك كالموتى والحديث لا يخالفه ولا يثبت الانتفاع للميت ، وبالجملة فالحديث صحيح وقد جاء بطرق, فتخطئته غير متجهة والله أعلم).

وقال العلامة نعمان بن محمود الألوسي:في كتابه (الآيات البينات في عدم سماع الأموات)[2]

(وقال شيخ مشايخنا العلامة ابن عابدين في حاشيته على الكتاب المذكور – يعني الدر المختار – ما لفظه : وأما الكلام فلأن المقصود منه الإفهام والموت ينافيه , ولا يرد ما في الصحيح من قوله ﷺ لأهل القليب : "هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً" ؟فقال عمر رضي الله عنه أتكلم الميت يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : "والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع منهم أو من هؤلاء",

فقد أجاب عنه المشايخ :

١- بأنه غير ثابت من جهة المعنى وذلك لأن عائشة – رضي الله عنها – ردّته لقوله تعالى : ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾، و﴿إنك لا تسمع الموتى﴾

٢- وأنه إنما قاله على وجه الموعظة للأحياء.

٣- وبأنه مخصوص بأولئك تضعيفا للحسرة عليهم .

٤- وبأنه خصوصية له ﷺ معجزة .

٥- لكن يشكل عليهم ما في مسلم : "أن الميت يسمع قرع نعالهم ، إذا انصرفوا" .

---

(١) تعليقه على سنن النسائي : (٤ /١١١).

(٢) (ص ٩-١١).

٦- إلا أن يخصوا ذلك بأول الوضع في القبر، مقدمة للسؤال جمعاً بينه وبين الآيتين ، فإنه شبّه فيهما الكفار بالموتى لإفادة بُعْد سماعهم وهو فرع عدم سماع الموتى. هذا حاصل ما ذكره في الفتح هنا وفي الجنائز).

أقول :[ويلاحظ في أقوال الحنفية مايلي] :

١- أن الأصل عندهم عدم سماع الأموات ودليلهم الآيتان المذكورتان وهذا المذهب حق في الجملة شريطة مراعاة الروايات الثابتة عن النبي ﷺ في حدود ما أخبر ﷺ.

٢- أهم قلدوا عائشة رضى الله عنها في رد حديث قليب أهل بدر.

٣- لكن يبدو أن إيمانهم بقصة القليب المسيطر عليهم قد جعلهم يتراجعون إلى التأويل ، ثم إلى القول بالخصوصية معجزة له ﷺ في حديث قليب أهل بدر ، وإلى الخصوصية بزمن معين في حديث أنس في سماع الموتى قرع النعال وذلك الزمن هو أول وضع الميت في القبر مقدمة للسؤال , ذهبوا إلى هذا جمعا بين الحديث وبين الآيتين , فوفّقوا بينه وبين القرآن مخصصين القرآن بالسنة في حدود ما دل عليه الحديث .

ولو بلغهم كل الأحاديث التي تؤيد حديث ابن عمر في أهل القليب لما قلدوا عائشة رضي الله عنها في رد حديث ابن عمر. ولهذا نرى أكثر الأحناف اعتناء بالسنة واطلاعا على شواهد حديث ابن عمر قد قرر صحة هذه الأحاديث وسلم بدلالاتها كالعيني والسندي وملا علي القاري.

رأي الحنابلة :

وقال الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي[1] في كتابه (البحور الزاخرة في أحوال الآخرة) ما عبارته : (وأنكرت عائشة رضي الله عنها سماع الموتى، وقالت : ما قال رسول الله ﷺ إنهم ليسمعون الآن ما كنت أقول لهم أنه حق ، ثم قرأت قوله تعالى : ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ ، و﴿ما أنت بمسمع من في القبور﴾ .

قال الحافظ ابن رجب : (وقد وافق عائشة رضي الله عنها على نفى سماع الموتى كلام الأحياء طائفة من العلماء، ورجحه القاضي أبو يعلى من أكابر أصحابنا في كتاب (الجامع الكبير) واحتجوا بما احتجت به ، وأجابوا عن حديث قليب بدر: بما أجابت به عائشة رضي الله عنها, وبأنه يجوز أن يكون ذلك معجزة مختصة بالنبي ﷺ دون غيره وهو سماع الموتى لكلامه، وفي صحيح البخاري : قال قتادة : أحياهم الله تعالى – يعني أهل القليب – حتى أسمعهم قوله ﷺ، توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً. وذهب طوائف من أهل العلم إلى سماع الموتى كلام الأحياء في الجملة).

والخلاصة :

١- أن جمهور العلماء صححوا حديث ابن عمر لذاته وأكدوه بشواهده الصحيحة و لم يقبلوا توهيم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لعبدالله ابن عمر.

٢- أن بعضاً من علماء الأحناف من المعتنين بالسنة النبوية وافقوا الجمهور في تصحيح هذه الأحاديث والتوفيق بينها وبين [الآيات].

٣- أن بعضاً من فقهاء الأحناف أخذوا برأي عائشة ثم استسلموا لصحة الأحاديث فسايروا الجمهور في التوفيق بينها وبين الأحاديث .

٤- أن الجمهور ومن وافقهم من الأحناف لم يقولوا بسماع الموتى سماعا مطلقا.

---

(١) الآيات البينات لنعمان الآلوسي : (ص ه ٢-٢٧).

٥- على هذا فلا يجوز لمسلم القول بأن الموتى يسمعون الكلام سماعاً مطلقاً, بل يجب أن تُفْهم النصوص في حدود ما دلت عليه ، فنفهم من حديث القليب أن الموتى سمعوا خطاب الرسول في تلك الحالة خاصة , بدليل قوله ﷺ "إنهم ليسمعون الآن ما أقول لهم " وفي سماع الموتى قرع النعال حال المسألة وحال انصراف الناس عقيب دفن الموتى. ولا يجوز التوسع في سماع الموتى لأمور:

أولاً: أنه من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله ، وفي عالم غير عالمنا يختلف عنه غاية الاختلاف .

ثانياً: أن الصحابة كانوا يفهمون من نصوص القرآن عدم سماع الموتى وكان هذا هو الأصل عندهم . ومن هنا سأل عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ عند ندائه الأموات فقال: (ما تكلم من أجساد لا أرواح لها).

ثالثاً: أن رسول الله ﷺ أقرهم على هذا الفهم الصحيح ولم ينكر عليهم هذا السؤال ولم يخطئهم , ثم أجاب بما يفيد أن سماعهم مقيد بظرف معين وحالة خاصة فقال : "إنهم يسمعون الآن ما أقول لهم". وفي حديث أنس قيد سماعهم بوقت معين وهو حال انصرافهم بعد الدفن وذلك هو حال سؤال الملكين للميت .

ومن شاء استيفاء هذا البحث فعليه أن يرجع إلى كتاب (الآيات البينات في عدم سماع الأموات) للعلامة نعمان الآلوسي فإنه كتاب قيم , وزاده قيمة تقديم الشيخ الألباني له وتحقيقه وتخريج أحاديثه وإضافاته العلمية القيمة جزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وينبغي أن نتذكر هنا قول الغزالي : (والفقهاء المحققون إذا أرادوا بحث قضية ما جمعوا لها كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة) , فنرى هذا المنهج جلياً في عمل فقهاء [المحدّثين خاصّة],لإحاطتهم بالسنة وعنايتهم بالقرآن [وفقههم في الدين عامة] .

ونرى بُعْد الغزالي [تجاوز الله عنه] الهائل عن هذا المنهج , فبحوثه تتسم غالباً بالارتجال فتأتي شوهاء [صاخبة]قد فقدت أهم مقومات البحث العلمي .

(شغب الغزالي على حديث فقء موسى عين ملك الموت)

قال :(وقع لي وأنا بالجزائر أن طالباً سألني : أصحيح أن موسى ﷺ ، فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه بعدما استوفى أجله ؟ فقلت للطالب وانا ضائق الصدر: وماذا يفيد هذا الحديث ؟ إنه لا يتصل بعقيدة ولا يرتبط به عمل ، والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى وخصومها طامعون في إخماد أنفاسها! اشتغل بما هو أهم وأجدى! قال الطالب : أحببت أن أعرف هل الحديث صحيح أم لا؟ فقلت له متبرماً: الحديث مروي عن أبي هريرة وقد جادل البعض في صحته .

وعدت لنفسي أفكر:إن الحديث صحيح السند ولكن متنه يثير الريبة إذ يفيد أن موسى يكره الموت ولا يحب لقاء الله بعدما انتهى أجله.وهذا المعنى مرفوض بالنسبة إلى الصالحين من عباد الله كما جاء في الحديث الآخر :"من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ", وفكيف بأنبياء الله ؟ كيف بواحد من أولي العزم ؟ إن كراهيته للموت بعدما جاءه ملكه مستغرب ثم هل الملائكة تعرض لها العاهات التي تعرض للبشر من عمى أو عور؟ ذاك بعيد.

قلت : لعل متن الحديث معلول ، وأيا ما كان الأمر، فليس لدي ما يدفعني إلى إطالة الفكر فيه , فلما رجعت إلى الحديث في أحد مصادره ساءني أن الشارح جعل ردّ الحديث إلحاداً وشرع يفند الشبهات الموجهة إليه فلم يزدها إلا قوة) , ثم ساق الحديث .

ثم قال : (قال المازري : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره ، قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت)؟

قال : (وأجاب العلماء عن هذه الشبهة بأجوبة), ثم ساق الغزالي هذه الأجوبة فلم تُزِل شبهته المستحكمة بل ردّها بقوله : (نقول نحن : هذا الدفاع كله خفيف الوزن , وهو دفاع

تافه لا يساغ[1] . ومَنْ وصَمَ مُنكِر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين , والحق أن في متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة , ورفضه أو قبوله خلاف فكري وليس خلافاً عقائدياً , والعلة في المتن يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحي ، وقد رفض الأئمة أحاديث صح سندها واعتل متنها فلم تستكمل بهذا الخلل شروط الصحة)[2] .

أقول :

١- أجاب الغزالي الطالب وهو ضائق الصدر بقوله : (وماذا يفيدك هذا الحديث ؟ إنه لا يتصل بعقيدة ولا يرتبط بعمل , والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى وخصومها طامعون في إخماد أنفاسها , اشتغل بما هو أجدى).

قلت : إني أسأل المخدوعين بفكر الغزالي : أهكذا [يُجَاب الطلاب]إذا سألوا عن أحاديث رسول الله ﷺ أيجوز تربيتهم على هذه الأخلاق من ضيق الصدر وشتات الأمر والعياذ بالله ؟ وهل يجوز تربيتهم على الاستخفاف بسنة رسول الله ﷺ ؟.

أكلام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى وحديثه عن الله وعن رسول عظيم من كبار أولي العزم , لا يتصل بعقيدة ولا يرتبط بعمل؟ وماذا نقول في قصته مع الإسرائيلي وقتله للقبطي ؟ ألا يمكن أن يؤدي هذا المنهج إلى الاستخفاف بكثير من قصص القرآن ؟ فيقال على هذا النحو إنها لا تفيد عقيدة ولا تتصل بعمل , فلماذا ذكرها الله في القرآن ؟ ولا نستبعد أن يأخذ هذا الكلام ملحد فيوجهه إلى المسلمين ليشككهم في دينهم فيقول : لماذا قص الله كثيراً عن الأنبياء وهي قصص كثير منها لا تفيد عقيدة ولا ترتبط بعمل؟

لماذا ذكر الله قصة النملة وقصة الهدهد مع نبي الله سليمان ؟ بل لماذا ذكر الله قصة طويلة عن يوسف استوعبت أكثر سورة يوسف وفيها قصته مع امرأة العزيز وفيها قصة أكثر من رؤيا

---

(١) أيّ أدب هذا مع سنة رسول الله ﷺ ومع فقهاء الأمة وأعلامها؟ أليس الدافع المعلن إلى تأليف هذا الكتاب هو الدفاع عن الفقهاء وتربية الناس على احترامهم ؟.

(٢) السنة النبوية : (٢٦ - ٢٩).

, وقصته مع إخوته , وقصة الصواع والعير , ولقد اعترض بعض الملاحدة على سورة يوسف لأن أكثرها قصص وقد يأخذ ملاحدة عصرنا شبهات جديدة من أقوال الغزالي . وما الذي يؤمننا على [المخدوعين بفكر الغزالي] أن تحك في صدورهم وتحوم في نفوسهم شُبَه في كثير من قصص القرآن العظيم؟ .

يا أهل الفكر لا تفتحوا على الإسلام ثغرة لا يسهل سدها إن الذي يؤمن بقول الله تعالى في قصة موسى والقبطي : (فوكزه موسى فقضى عليه), وإن الذي يؤمن بقول الله تعالى عن موسى: لا يرتاب في قصة موسى مع ملك الموت لأنها وهاتين القصتين القرآنيتن من باب واحد.

ثم نسأل [المخدوعين بفكر الغزالي]: أترون أن ضيق صدر الغزالي وبترُّمه بسؤال الطالب ، ثم نشر الرد عليه , وطعنه في الحديث ورواته وشراحه العلماء الأعلام ووصفه إياهم بالسطحية في الفكر. .. الخ ، ينفع الأمة ويوقف عنها الرحى الطاحنة، ويكف عنها مطامع الخصوم ؟

ألم يكن أنفع للإسلام والمسلمين وأوفر لوقتهم وأبعد عن جرح مشاعرهم ، أن يجاب الطالب بما أمرنا به من الرد عند التنازع الى شرع الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ؟

٢- ويقول متبرماً: (الحديث مروي عن أبي هريرة وقد جادل البعض في صحته).

أقول : أهذا التبرم من متن أو سند حديث رسول الله ﷺ أم من صاحبه راوي حديث رسول الله ﷺ أبي هريرة رضي الله عنه؟ومن هم الذين جادلوا في صحته أهم الصحابة أم أئمة التابعين أم أئمة الحديث أم فقهاء الإسلام الأربعة أم غيرهم ؟.

ومن هم سلف الغزالي في الطعن في هذا الحديث ، والتبرم به وبراويه ؟ لقد سماهم المازري رحمه الله : إنهم الملحدون [وضاق صدر الغزالي وتبرّم من هذه التسمية].

أما كان له في كلام المازري ما يكفكف اندفاعه ويعيده إلى شرف الوقوف في صفوف أهل السنة ؟ ما الذي تكسبه الأمة ويكسبه الإسلام من الإصرار والتمادي في الطعن في حديث صحيح رواه الشيخان إماما المحدثين البخاري ومسلم في صحيحهما اللذين تلقتهما الأمة

بالقبول؟ بل ما الذي يكسبه الإسلام من الحملات المتواصلة على أحاديث كثيرة يختارها [الغزالي]من الصحاح ثم يهجم عليها بشدة وبسخرية ، وتدور عليها رحى الغزالي الدؤوب التي لا تكاد تهدأ [إلا بالموت] .

٣ – ويقول : (وعدت لنفسي أفكر أن الحديث صحيح المسند).

أقول : إن الحديث صحيح السند والمتن ، بل في أعلى مراتب الصحة إذ هو مما اتفق عليه البخاري ومسلم .[وما اتفقا عليه فهو أصح شيء بعد كتاب الله القرآن في اعتقاد أئمة الحديث وأئمة الفقه إن جاز التفريق بينهما]

ولي أن أسأل : لماذا لم يصرح الغزالي بأن الحديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم ؟ ألا يعلم أن الحديث الذي يتفق على روايته الشيخان يكون له منزلة أعلى في نفوس المسلمين ، وأن هناك فرقاً كبيراً بين قوله :(وعدت لنفسي أفكر أن الحديث صحيح السند) وبين قوله: (الحديث اتفق عليه البخاري ومسلم)؟

٤– ويقول : (ولكن متنه يثير الريبة إذ يفيد أن موسى يكره الموت) .

أقول : أكراهية موسى ﷺ أو غيره للموت تكون من المستحيلات ومن الأمور القادحة في النبوة والولاية حتى تثير في نفسه الريبة؟

إذا كان متن هذا الحديث يثير الريبة في نفسه فما موقفه من قول الله تعالى ﴿وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانّ ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾وقولـــه تعالى في شأن موسى ﷺ: ﴿قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون﴾.

وقول الله تعالى في شأن موسى ﷺ : ﴿ فخرج منها خائفاً يترقب قال : رب نجني من القوم الظالمين﴾.

فلو كان الغزالي عوّد نفسه على تدبّر ألفاظ القرآن ومعانيه كما بيّنها النبي ﷺ واصحابه وأئمة المفسرين في القرون الخيرة- كما يوصي بذلك - والربط بين[الفاظه ومعانيه وبين ألفاظ] ومعاني السنة , أكان يقع في مثل هذه الأخطاء الفادحه؟ ولكن الهوى[أي الفكر] يعمي ويصم .

لقد رمى الغزالي هنا أصحاب الحديث بأنهم أصحاب الفكر السطحي فأعاد الله سهامه إلى نحره ليكون عبرة لمن يعتبر. قال تعالى:﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾, فلقد تبين للقارئ من هو صاحب الفكر السطحي , وتبين له أن البخاري ومسلما ومن شاركهما في رواية هذا الحديث فقهاء راسخون في العلم لا يصابون بالشرود الذهني عن معاني القرآن وألفاظه عندما يروون ما صح عن نبيهم الكريم ﷺ, بل يربطون بين القرآن والسنة على أحسن ما يكون الربط وأحكمه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

إن كراهية الموت أمر فطري فطر الله عليه البشر , وقد ورد في الحديث القدسي عن المؤمن أنه " يكره الموت وأنا أكره مساءته " , وإن الأنبياء وهم أكثر الناس إيماناً ليتخذون الأسباب المشروعة لدرء الأخطار والمصائب , وهم أعلم الناس بأمر الله وقدره وانه لا مفرّ من قضائه.

وقد هاجر رسول الله ﷺ خفية , واختفى في الغار حيناً أخذاً بالأسباب التي تعمّي أخباره عن الأعداء. وكان يتخذ في المدينة حراساً يحرسونه من أعدائه حتى أنزل الله : ﴿والله يعصمك من الناس ﴾ فصرف أصحابه الكرام عن حراسته , وظاهر رسول الله ﷺ يوم أُحُد بين درعين وكل ذلك من الأسباب [المشروعة] والمعقولة التي [هداه الله اليها هو من دونه] من الصالحين ولا تخدش في مكانة الأنبياء والأولياء , وإن حب لقاء الله ليس معناه [محبة الموت].

إن الإنسان ليعجب من تصرفات الغزالي ، فإنه قبل أن يفهم معنى الحديث يسارع إلى رده زاعماً أنه يخالف القرآن , وقد يزعم أنه يخالف حديثاً آخر إذا خيل له أن الحديث الآخر يتفق مع فكره .

لقد زعم هنا أن حديث لطم موسى لملك الموت يخالف حديث :"من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه " وأعل الأول بالأخير, ففضح نفسه بأنه لم يفقه الحديثين , ومع بُعْده عن فقههما أخلّ بنقل الأخير.

فلفظ الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه "، فقلت : يا نبي الله : أكراهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت , فقال : " ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا بُشِّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه" .

وعنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، والموت قبل لقاء الله"..

وعن شريح بن هانيء قال : أتيت عائشة رضي الله عنها فقلت : يا أم المؤمنين ، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثا، إن كان كذلك فقد هلكنا فقالت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ وما ذاك ؟ قال : قال رسول الله ﷺ: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " , وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت , فقالت : قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ". (١)

ففي هذه الأحاديث الشريفة البيان الواضح لمعنى حُبّ أو كراهة لقاء الله , وأنهما ليسا على إطلاقهما بل هما مقيدان بزمن معين حين يباشر ملك الموت انتزاع الروح من الجسد وحين يبشر

(١) صحيح مسلم: (٢٠٦٦/٤) ، ٤٨ – كتاب الذكر حديث ٢٦٨٤ ، ٢٦٨٥) ومسند أحمد : (٣١٨/٦).

المؤمن برحمة الله وجنته ورضوانه حين يرى مقعده من الجنة وحين يبشر الكافر بعذاب الله وسخطه حين يرى مقعده من النار.

وإذن فليست كراهية الموت التي طبع الله عليها البشر هى كراهية لقاء الله كما ظنّ الغزالي وقد أنكر رسول الله ﷺ هذا الفهم وبيّن الفرق بينهما في حديث عائشة رضي الله عنها

إنه تحديد دقيق بزمن معين تفرح فيه نفس المؤمن بلقاء الله فيحب الله لقاءه , وتكره نفس الكافر لقاء الله فيكره الله لقاءه .

ولتزداد فهماً أنظر إلى قول رسول الله ﷺ: "والموت قبل لقاء الله "، وإلى قول أم المؤمنين لشريح : وليس بالذي تذهب إليه, ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاءه الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه).

وإذن لا تعارض بين الحديثين فلا يلام موسى والرسل فمن دونهم من أولياء الله على كراهية الموت قبل أن يبشروا برحمة الله ورضوانه وجنّته عند الغرغره .

والحال التي واجه ملك الموت فيها موسى ﷺ عليه غير الحال التي أرادها رسول الله ﷺ بقوله : "ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه".

وعلى الغزالي مؤاخذة أخرى في بتره الحديث ثم الاعتراض بجزء منه على حديث صحيح يتفق مع نصوص القرآن وسلم به علماء الأمة، [سواء كان بتره]بتره عن جهل وعجز أو كان عن تعمد وقصد.

٥ – ويقول الغزالي : (ثم هل الملائكة تعرض لهم العاهات التي تعرض للبشر من عمى وعور؟ ذاك بعيد).

أقول : ما هو [دليله] على هذا الاستبعاد ؟ فالله أوجدهم من العدم وأعطاهم الحياة ثم يميتهم ويفنيهم , فإذا كانوا يموتون حتماً ويفنون بقدرة الله وإرادته فما الذي يمنع قدرة الله وإرادته إذا أراد أن يصيب أحدهم بمصيبة دون الموت .

٦ – ويقول : (قلت : لعل الحديث معلول وأيا ما كان فليس لدي ما يدفعني إلى إطالة الفكر فيه).

أقول : ما هي علته ؟ لوكان يعرف له علّة لما ترددّ في التهويل بها , ولكن فاقد الشيء لا يعطيه , ومعرفة العلل لها رجالها النوابغ الفحول .

ثم إن الرجل مع عجزه عن إبداء العلل في الأحاديث التي يتهجم عليها يشمخ بأنفه فيرى الحديث أهون وأقل من أن يطيل الفكر فيه , والتمس طريقاً سهلا لعله يجد عند احد طعناً في الحديث , فأصيب بخيبة الامل إذ وجد من رجا منهم الإسعاف يرمون من طعن في الحديث بالإلحاد,ولو وجد طلبته عندهم لأرغى بها وأزبد ، ولكن الله يأبى إلا أن ينصر دينه وسنة نبيّه .

قال : (فلما رجعت إلى الحديث في أحد مصادره ساءني أن الشارح جعل رد الحديث إلحاداً) ثم ذكر عن المازري تفنيد الشبهات وفيها رمي منكري الحديث بالإلحاد ، فتعقبه الغزالي بقوله : (ومَنْ وَصَم مُنْكِرِ الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين ,والحق أن في متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة , ورفضه أو قبوله خلاف فكري وليس خلافاً عقائدياً والعلة في المتن يبصرها المحققون وتخفى عن أصحاب الفكر السطحي).

[هل] ضن على القاريء بذكر علته والمصدر الذي أعلّه , [أم أن جعبته خاويه]؟

والاستطالة على سنّة رسول الله ﷺ الثابتة بالأسانيد الصحيحة مع تلقي الأمة لها بالقبول يبدو أمراً سهلاً عليه في الوقت الذي يرى فيه أن وصف العلماء منكري السنن المستخّفين بها بأنهم ملحدون استطالة في أعراض المسلمين , مع أننا لم نعرف مسلماً متّبعاً للسنّة أنكر هذا الوصف، فليسمّ لنا [المخدوعين بفكره]أحدهم إن كانوا من الصادقين .

وقد كان في أول كلامه مرتاباً في صحة متن الحديث ثم قال ثانياً ولعل متن الحديث معلول ، ثم جزم أخيراً بأن فيه علة قادحة ,وليس هذا بغريب عليه , [فإن التناقض من سمات الفكريين].

ونقول: لماذا لم يتهم الغزالي عقله وفهمه ؟ فلو أنصف من نفسه وعرف قدرها لقال لها: إن العلل الكامنة فيك لا في أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة , فيدفعه ذلك إلى احترام سنة رسول الله ﷺ واحترام نقلتها [العلماء العاملين] فيسلم بفقههم وإمامتهم ورسوخهم في العلم [وتعلم منهم].

٧ – ويقول عن هذا الحديث : (ورفضه أو قبوله خلاف فكري وليس خلافاً عقائدياً).

وهكذا يحيي مذهب النّظّام وأمثاله في العدوان والاستطالة على سنة رسول الله ﷺ ثم يربت على أكتاف المشدوهين من هذا العبث بسنة رسول الله ﷺ ويهديء من روعهم بأن الأمر هين فإنه من الاختلاف الفكري . ألم يعلم أن في عصرنا أفكاراً هددّت الأسس الدينية والخلقية ؟

٨ – ويقول : (والعلة يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحي).

ونسأل ما هي علة هذا الحديث ؟ ومن هم المحققون الذين يبصرونها؟ لا يبعد أنه يقصد النظام وأضرابه ممن وصفهم المازري والخطابي وأيدهما أئمة الفقه والحديث بأنهم الملحدون .

ومن هم أصحاب الفكر السطحي الذين تخفى عليهم العلل ؟ والجواب الذي طواه الغزالي[وينضح به هجومه:] هم البخاري ومسلم والمازري والنووي وغيرهم من جهابذة العلم الشرعي ممن روى الحديث ودرسه وآمن به ودافع عنه.

ولماذا يرميهم بالسطحية ؟ لأن المازري والخطابي وابن خزيمة وصفوا منكري هذا الحديث والطاعنين فيه بالإلحاد , وأقرهم من علماء الأمة القاضي عياض والنووي وابن حجر والعيني وغيرهم على [إنكار هذا المنكر الذي أحياه] الغزالي [تجاوز الله عنه وعذره بجهله], وإذن لابد من الانتقام وأخذ الثأر , فليرمهم بالتفاهة والسطحيّة في الفكر.

(نص الحديث عن قصة موسى مع ملك الموت)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أُرْسل ملك الموت إلى موسى ﷺ، فلما جاءه صكّه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. فرد الله عليه عينه وقال : ارجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطّت يده بكل شعرة سنة، قال : أي رب ، ثم ماذا؟ قال : ثم الموت ، قال : فالآن ، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر, قال : قال رسول الله ﷺ : " فلو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر"[(١)]

(أقوال علماء الأمة في حديث موسى مع ملك الموت)

لقد تلقى علماء الأمة هذا الحديث بالقبول لأنه جاءهم عن طريق الثقات , ورواه أئمة الحديث في الصحاح والسنن والجوامع مسلّمين بصحته مؤمنين بمضمونه .

فرواه من أئمة الحديث :

عبد الرزاق في مصنفه , والإمام أحمد في مسنده والبخاري , في صحيحه ، ومسلم في صحيحه ، والنسائي في سننه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما , وابن أبي عاصم في السنة، وأورده السيوطي في الجامع الكبير[(٢)] ، والشيخ الألباني في صحيح الجامع[(١)] ، والمتقي

---

(١) أخرجه البخاري:(١ /٤١١) ٢٣ – الجنائز، باب من أحب الدفن بالأرض المقدسة حديث (١٣٣٩) في ٦٠ – كتاب أحاديث الأنبياء – باب وفاة موسى ﷺ حديث (٣٤٠٧) ومسلم : (١٨٤٢/٤) ٤٣ – الفضائل حديث (٢٣٧٢)، وأحمد: (٢/٩ ٢ ٢)، والنسائي : (١١٨/٤–١١٩) الجنائز حديث (٢٨٩) كلهم من طريق عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه وعبد الرزاق في المصنف (١١ /٢٧٤) حديث (٢٠٥٣٠) ، وابن أبي عاصم في السنة به (٢٦٦/١) حديث (٥٩٩، ٦٠٠). وأخرجه أحمد: (٢ /٥٣٣) من طريق حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ ((قد كان ملك الموت يأتي الناس عياناً قال : فأتى موسى فلطمه . . ." الحديث ورواه ابن حبان في صحيحه (٣٨/٨ ، ٣٩).وأورده ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٦).

(٢) (١١٢/١).

الهندي في كنز العمال ,كلهم مؤمنون بصحته وصحة معناه , وتعرض له بعض الملاحدة والجهمية المخذولين بالطعن والتكذيب فتصدى للرد عليهم ودحض شبهاتهم أئمة الإسلام وأعلامه ، مثل ابن قتيبة ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والخطابي[٢] والمازري[٣] ، والقاضي عياض[٤] ، وابن التين[٥] ، والنووي[٦] وابن كثير[٧] وابن حجر[٨] والعيني[٩] والسيوطي[١٠] والقسطلاني[١١] والسندي[١٢]

والأبي الوشناني[١٣] وغيرهم من شيوخ هؤلاء المذكورين وتلاميذهم ، وفي عصرنا هذا طعن فيه أبو رية وتصدى للرد عليه الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله في كتابه (الأنوار الكاشفة).

١- وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: ذكر خبر شَنَّع به على منتحلي سنن المصطفى ﷺ من حرم التوفيق لإدراك معناه :

---

(١) (٣٠٩/١).

(٢) أعلام السنن : (١ /٦٩٦-٦٩٨).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم : (١٥ /١٢٩).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (٨ /٤٨ ١-٩ ٤ ١).

(٦) شرح النووي لصحيح مسلم : (١٥ /١٢٩).

(٧) البداية والنهاية : (١ / ٣٤٦).

(٨) فتح الباري : (٦ /٤٢ ٤).

(٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (٨ /٤٨ ١-٩ ٤ ١).

(١٠) شرح النسائي : (١١٩/٤).

(١١) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري : (٢ /٤٣٥-٤٣٦).

(١٢) شرحه على النسائي : (٤ /١٢٠).

(١٣) إكمال إكمال المعلم : (٦ /١٦٤).

(... عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : "أرسل ملك الموت إلى موسى ليقبض روحه ")الحديث .

قال أبو حاتم : (إن الله جل وعلا بعث رسول ﷺ معلماً لخلقه ، فأنزله موضع الإبانة عن مراده ، فبلّغ ﷺ رسالة ربه) ثم قال (وذاك أن الله جل وعلا أرسل ملك الموت إلى موسى رسالة ابتلاء واختبار وأمره أن يقول له : " أجب ربك " أمر اختبار وابتلاء لا أمراً يريد الله جل وعلا إمضاءه ، كما أمر خليله إبراهيم ﷺ بذبح ابنه أمر اختبار وابتلاء دون الأمر الذي أراد الله جل وعلا إمضاءه ، فلما عزم على ذبح ابنه وتله للجبين فداه بالذبح العظيم .

وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها كدخول الملائكة على رسوله إبراهيم ﷺ ولم يعرفهم حتى أوجس منهم خيفة(١) وكمجيء جبريل إلى رسول الله ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام [والإحسان]، فعرفه المصطفى ﷺ حين ولى .

فكان مجيء ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه موسى ﷺ عليها , وكان موسى غيوراً فرأى في داره رجلاً لم يعرفه ، فشال يده فلطمه فأتت لطمته على فقء عينه التي في الصورة التي يتصور بها لا الصورة التي خلقه الله عليها.

فلما رجع ملك الموت إلى ربه أخبره بما كان من موسى فأَمَره ثانياً بأمر آخر أمر اختبار وابتلاء كما ذكرنا قبل ، إذ قال الله له : قل له : إن شئت فضع يدك على متن ثور، فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة، فلما علم موسى كليم الله ﷺ أنه ملك الموت وأنه جاءه بالرسالة من عند الله طابت نفسه بالموت ، ولم يستمهل ، وقال : الآن .

فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به , ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمالة الحطب ورعاة الليل يجمعون

---

(١) وكمجيء الملائكة إلى نبي الله لوط عليه السلام قال تعالى : ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال : هذا يوم عصيب),الى قوله ﴿ قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ﴾ الآيات .

ما لا ينتفعون به ، ويروون ما لا يؤجرون عليه ، ويقولون بما يبطله الإسلام ، جهلاً منه لمعاني الأخبار وترك التفقه في الآثار معتمداً على رأيه المنكوس ، وقياسه المعكوس)(١).

وقال النووي:(قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة(٢) هذا الحديث ، وأنكروا تصوره ، قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت ، قال:وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة [ذكر منها]

أن موسى ﷺ لم يعلم أنه ملك من عند الله ، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها، فأدت المدافعة إلى فقء عينه ، لا أنه قصدها بالفقء ، ويؤيده رواية صكه .

وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين ، واختاره المازري ، والقاضي عياض وقالوا: ليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه فإن قيل : فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت ، فالجواب : أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت ، فاستسلم بخلاف المرة الأولى)(٣) .

قلت : وقد نقل الغزالي أقوال الثلاثة وعلق عليها بما ذكرناه عنه آنفاً من الاستخفاف والإنكار .

وقال العيني : (وقال ابن خزيمة : أنكر بعض أهل البدع والجهمية هذا الحديث ، قالوا: لا يخلوا أن يكون موسى ﷺ عرف ملك الموت أو لم يعرفه .

فإن كان عرفه فقد استخف به ، وإن كان لم يعرفه ، فرواية من روى أنه كان يأتي [الناس] عياناً لا معنى لها، ثم إن الله تعالى لم يقتص لملك الموت من اللطمة وفقء العين ، والله تعالى لا يظلم أحداً.

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان : (٨ /٣٨-. ٤).

(٢) وقد سبقه الخطابي إلى هذا القول فقال : (هذا حديث يطعن فيه الملحدون وأهل الزيغ والبدع) الحديث : (١ /٦٩٦).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم : (١٥ /١٢٩).

قال ابن خزيمة : وهذا اعتراض من أعمى الله بصيرته ، ومعنى الحديث صحيح. وذلك أن موسى لم يبعث الله ملك الموت وهو يريد قبض روحه حينئذ ، وإنما بعثه اختباراً وابتلاءً، كما أمر الله تعالى خليله بذبح ولده ، و لم يرد إمضاء ذلك ولو أراد أن يقبض روح موسى ﷺ لكان ما أراد.

وكانت اللطمة مباحة عند موسى ، إذ رأى آدمياً دخل عليه ولا يعلم أنه ملك الموت ، وقد أباح الرسول ﷺ ، فقأ عين الناظر في دار المسلم بغير إذن , ومحال أن يعلم موسى أنه ملك الموت ويفقأ عينه .

وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم ﷺ ، فلم يعرفهم ابتداءً ، ولو علمهم لكان من المحال أن يقدم إليهم عجلاً لأنهم لا يطعمون ، وقد جاء الملك إلى مريم ، فلم تعرفه ولو عرفته لما استعاذت منه ، وقد دخل الملكان على داود ﷺ في شبه آدميين يختصمان عنده ، فلم يعرفهما، وقد جاء جبريل ﷺإلى سيدنا رسول الله ﷺ وسأله عن الإيمان ، فلم يعرفه وقال " ما أتاني في صورة قط إلا عرفته فيها غير هذه المرة "

فكيف يستنكر أن لا يعرف موسى الملك حين دخل عليه , وأما قول الجهمي : أن الله تعالى لم يقتص للملك فهو دليل على جهله . من الذي أخبره أن بين الملائكة والآدميين قصاصاً؟

أو من أخبره أن الملك طلب القصاص فلم يقتص له ؟ وما الدليل على أن ذلك كان عمداً؟

وقد أخبرنا نبينا ﷺ أن الله تعالى لم يقبض نبيا قط حتى يريه مقعده في الجنة ويخيره ، فلم ير أن يقبض روحه قبل أن يريه مقعده من الجنة ويخيره)[1] .

فهذه [بعض]أقوال علماء الأمة من المتقدمين والمتأخرين في معنى هذا الحديث الشريف وفي الدفاع عنه وصد هجمات المبتدعين والملاحدة وهى أقوال كلها تقوم على الإيمان بصحة الحديث وصدق نسبته إلى رسول الله ﷺ [وترّد على الغزالي ومن انخدع بفكرهم ومن انخدعوا

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخارى : (١٤٨/٨ - ١٤٩).

بفكره].ثم كلها وجوه صحيحة معقولة , وأقواها قول الإمام أبي بكر بن خزيمة الذي قَبِله الجميع , وقول تلميذه ابن حبان ، لأنهما مدعّمان بالأدلة من الكتاب والسنة ويساندهما العقل والفطرة .

ومن النصيحة لمن ينهج منهج الغزالي أن يعود إلى جادة الحق ويريح نفسه والأمة من الدعاوى العريضة التي تتحول في جو البحث العلمي إلى سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب.

تشابه

قلوب

المعتدين

على السّنّة

(تشابه قلوب المعتدين على السنة)

يشترك أن الغزالي مع أبي رية في توجيه المطاعن إلى جملة من الأحاديث الشريفة أذكر منها:

١- حديث تميم الداري عن الدجال والجساسة (الأنوار الكاشفة) : ص ١٣٤ .

٢- حديث الاضطجاع بعد ركعتي الفجر (الأنوار الكاشفة) : ص ١٧٤ .

٣- أحاديث إثبات الصورة لله (الأنوار الكاشفة) : ص ١٨٦ .

٤- حديث موسى وملك الموت (الأنوار الكاشفة): ص ٢١٩ .

٥- وحديث الذبابة (تأويل مختلف الحديث): ص ٢٢٨ .

٦- وبلغني عن ثقات أنه يسخر من حديث : " ضرس الكافر في النار مثل أُحُد ".

والفرق بينهما :

١- أن أبا رية صريح ويعزو في كثير من الأحيان إلى المصادر التي يستقي منها طعنه مثل كولد تسيهر وابن أبي الحديد والإسكافي ونحوهم ، أمّا الغزالي فلا يعزو إلى المصادر [المشبوهة] التي استقى منها إلا نادراً.

٢- وأبو رية لا يتستر بالأئمة ولا يقول في أحاديث قبلها الأئمة الفقهاء والمحدثون: (ولست منفردا بهذا فقد سبقني الأئمة) [كما يفعل الغزالي].

٣- وأعتقد أن الأحاديث التي طعن فيها الغزالي أكثر من الأحاديث التي طعن فيها أبو رية ومنهج الغزالي وأساليبه أشنع , لأنه يطعن في الأحاديث باسم الغيرة على الإسلام وباسم

[الدعوة إلى الإسلام والذب عنه ويغلب على ظنّي أن]هدف الغزالي أن لا يقطع الشعرة التي بينه وبين أهل السنة فيرخيها تارة ويشدها أخرى حفاظاً على [مكاسبه] وسمعته [المزوّرة], وساعده غفلة العلماء [عنه وعدم اهتمامهم بقراءة مؤلفاته لما هى حالهم مع سيد قطب] على الإمعان في الطعن في السنة وأهلها

٤- والغزالي أكثر ردّاً لأحاديث في الصحيحين من غيره .

وهناك أحاديث طعن فيها الغزالي أورَدَها ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) ليدفع عنها شُبَه النظام وأبي الهذيل والجاحظ منها :

١- حديث عمر أن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره ص (٨٧) من (تأويل مختلف الحديث) و(ص ١٤٧) من (السنة النبوية) للغزالي وعقّبه بقوله : (وهذا السياق يكاد يكون نصاً في الجبر ولذلك نرفضه).

٢- وقال النّظّام : (لو كان ابن مسعود - بَدَلَ نظره في الفتيا - نظر في الشقي كيف يشقى والسعيد كيف يسعد , حتى لا يفحش قوله على الله ولا يشتد غلطه) . . وقال : (وزعم أن القمر انشق وأنه رآه وهذا من الكذب الذي لا خفاء به ، لأن الله لا يشق القمر له وحده ولا لآخر معه وإنما يشقه ليكون آية للعالمين)[1] . وطعن فيه عدة مطاعن.

وقد تأسى به الغزالي في الطعن في هذين الحديثين فهوّش على معنى الأول وهو ما رواه ابن مسعود عن النبى ﷺ : " إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة . ثم يبعث الله الملك فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد . . . "[2] الحديث .

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص ٢١ .

(٢) أخرجه البخاري : (٤ /٤ ٢ ٤)، بدء الخلق حديث (٨ ٠ ٣٢) وأخرجه في الأنبياء وفي القدر،ومسلم في القدر:(٤ /٢٠٣٦) حديث (٢٦٤٣) ورواه أبو داود في السنة :(٥ /٨٢) حديث (٨ ٠ ٧ ٤) والترمذي في القدر (٣٨ ١ ٢) وابن ماجه في المقدمة باب القدر حديث (٧٦).

وقد عزاه الغزالي إلى مسلم دون البخاري,ولا أدري لأي غرض؟، انظر كتاب(السنة النبوية)[1] قال الغزالي فيه : (إذا كان الحديث المذكور تنويهاً بشمول العلم الإلهي وأن بدايات بعض الناس قد تكون مخالفة لنهاياتهم فلا بأس في قبوله بعد الشرح المزيل للبس ، أما المعنى القريب للحديث فمردود يقيناً وهو مخالف للكتاب والسنة أو للعقل والنقل).

أي إنه إن انقاد له الحديث إلى مذهب المعتزلة البعيد فلا بأس بقبوله الحديث المتفق على صحته ,وإن أبى واستعصى عليه أن يفهم منه غير ما فهم منه أهل السنة والجماعة فمردود يقيناً وهو مخالف للكتاب والسنة أو للعقل والنقل بشهادة [قدوته]النّظّام الذي كذّب الحديث وكذّب راويه ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه,[وكفى الله الإسلام والمسلمين شر النظام ومقلّديه].

وأما الحديث الثاني وهو انشقاق القمر فقد تقدم البحث فيه , وقد ظننت أن الغزالي تعمّد إخفاء تكذيب النّظّام الصريح [للحديث ولروايه, بذكر منه غير] قوله : (لأن الله لا يشق القمر لابن مسعود وحده). وقد ساق الغزالي هذا الجزء من كلام النّظّام مساق الاحتجاج به ,وفهمت منه تكذيب النّظّام لابن مسعود وآخذت به الغزالي, ثم راجعت (تأويل مختلف الحديث) فوجدت ما فهمته صريحا واضحا فتأكدت أن الغزالي بارع في مخادعة أهل السنة ومخاتلتهم , وفهمت سر هروبه من التصريح بمصادره والعزو إليها بدقة كما يفعله الباحثون في هذا العصر .

٣- ومنها: حديث الذباب[2]

٤- وحديث : " إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه " [3] , فقد أوردهما ابن قتيبة في كتابه للدفاع عنهما ورداً لمطاعن الملاحدة وغلاة المبتدعة . وليعلم القارىء أنه [لم يكن] لدى الغزالي

---

(١) ص ١٤٦

(٢) تأويل مختلف الحديث : (ص ٢٢٨) .

(٣) تأويل مختلف الحديث : (ص ٢٤٥) .

من العلم والدقة والإحاطة بالأدلة ما يساعده على مقارعة الحجة بالحجة كما أنه ليس لديه الاستعداد للبحث والتحقيق , فلا يجد عبر اللجوء إلى [المبالغة والتّشدّق والتّفيهقُ]الهجوم العنيف المصحوب في كثير من الأحيان بالسخرية والتحقير.

وأخيراً : فإني أرى أن فكر الغزالي سّيء جداً على الإسلام [والمسلمين] فهو امتداد سّيء لشتى الدعوات الضالة المضلة : فهو امتداد للاشتراكية والديمقراطية، وامتداد للدعوة إلى تحرير المرأة , وامتداد لدعوات خصوم السنة من غلاة الجهمية في السابق , وامتداد لدعوة أبي رية وأمثاله من أتباع المستشرقين في اللاحق ، وامتداد لفكر المعتزلة في القدر ورمي أهل السنة بالجبر والتهويش على الأحاديث التي تثبت القدر وفي الوقت نفسه تنفي الجبر. ولما كان الغزالي يصرّ على قوله : (وأوكد أولاً وآخراً أنني مع القافلة الكبرى للإسلام هذه القافلة التي يحدوها الخلفاء الراشدون والأئمة المتبعون والعلماء الموثقون . .)(١) [فلماذا لم يعلن] براءته من كل هذه الامتدادات الغريبة والخطيرة على الإسلام ويعلن توبته إلى الله من أفكار ظل يخدمها ويدعمها طوال خمسين عاما [تجاوز الله عنا وعنه].[ولأنه] لم [فقد كان أقرب إلى] القوافل الأخرى التي ظل يخدمها ويدعو إليها باسم الإسلام وهي أخطر ما يكون على الإسلام والإسلام منها براء، والقافلة الكبرى في واد وهو في وادي تلك القوافل . هذا ما استطعت أن أقدمه اليوم دفاعاً عن سنة المصطفى ﷺ ، وذَوْداً عن علمائها وحماتها، أرجو أن أكون قد أديت بعض ما يجب في هذا المجال خدمة للإسلام ونصحاً للمسلمين . وأرجو أن أوفق لإكمال ما بدأت على الوجه الذي يرضى ربي [أو يوفق غيري له]إنه لسميع الدعاء . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته .

ربيع بن هادي المدخلي

رئيس شعبة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة

---

(١) السنة النبوية : ص ١١ – ١٢ .

٦ / ١١ / ١٤٠٩هـ

فهرس الأحاديث والآثار وأقوال العلماء

مصادر الأصل

(أ)

١- الإجماع , لابن المنذر أبي بكر محمد بن إبراهيم (ت ٣١٨)

٢- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان , لابن بلبان (ت ٧٣٩) تحقيق /يوسف الحوت .

٣- الإحكام في أصول الأحكام , للحافظ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦)

٤- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣)

٥- الإسلام في مواجهة التحديات , لأبي الأعلى المودودي .

٦-إعلام الموقعين للحافظ , أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم (ت ٧٥١)

٧- إكمال إكمال المعلم , لأبي عبدالله محمد بن خليفة الوشناني الأبي (ت ٨٩٥).

٨- الأم , للإمام محمد بن ادريس الشافعى (ت ٢٠٤).

٩- الآيات البينات في عدم سماع الأموات , للعلامة نعمان بن محمود الألوسي (ت١٣١٧) الطبعة الثانية ٩ ١٣٩ هـ .

(ب)

١٠- الباعث الحثيث , للحافظ إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤) ط الثالثة .

١١- البداية والنهاية , للحافظ إسماعيل بن كثير دار الكتب بيروت ١٤٠٥هـ

(ت)

١٢- تأريخ دمشق , للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١) مصور عن المكتبة الظاهرية .

١٣ - تأويل مختلف الحديث , للإمام أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٧٦ ٢) دار الجيل بيروت ، ٣٩٣ ١ .

١٤ - تفسير القرآن العظيم ,للحافظ ابن كثير (ت ٧٤٤) ط الشعب .

(ج)

١٥- جامع بيان العلم ,للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري (ت ٤٦٣)

١٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ط الثانية الحلبي ١٣٧٣ .

١٧- الجرح والتعديل ، للإمام أبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧) صورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية .

(ح)

١٨- حاشية ابن عابدين .

١٩- الحلية للحافظ ,أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت . ٤٣).

(د)

٢٠- الدر المنثور ,للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١) نشر دار الفكر ١٤٠٣هـ

٢١- دستور الوحدة الثقافية ,لمحمد الغزالي السقا .

٢٢- دلائل النبوة ,للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨) دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥

(ر)

٢٣- الرسالة ,للإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤) تحقيق أحمد شاكر.

٢٤- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ,للمحدث المؤرخ أبي القاسم عبدالرحمن السهيلي (ت ٥٨١) تحقيق عبدالرحمن الوكيل ط ١٣٨٧ هـ

٢٥- زاد المسير في علم التفسير ,للحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن على ابن الجوزي (ت ٥٩٧) الطبعة الثالثة بيروت ١٤٠٤هـ

(س)

٢٦- السنة ,للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت ٨٧ ٢) تحقيق المحدث الألباني نشر المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ

٢٧- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ,لمحمد الغزالي السقا .

٢٨- السنن ,للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣) تصوير ونشر دار البشائر سنة ١٤٠٦ .

٢٩- السنن ,للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥) بتعليق عزت الدعاس الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ

٣٠- السنن ,للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزويني (ت ٥ ٢٧) ط الحلبي وتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

٣١- السنن ,للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩) تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد وإبراهيم عطوة .

٣٢- سير أعلام النبلاء ,للحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٤٨ ٨) مؤسسة الرسالة .

(ش)

٣٣- شرح موطأ مالك ,للعلامة محمد بن عبدالباقي الزرقاني (ت ١٠٥٥).

٣٤- شرح صحيح مسلم ,للإمام النووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦).

٣٥- الشريعة ,للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري(ت٣٦٠) تحقيق محمد حامد الفقي .

(ص)

٣٦- الصحيح ,للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) ط السلفية سنة ١٤٠٠هـ

٣٧- الصحيح للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

(ط)

٣٨- الطريق من هنا ,لمحمد الغزالي السقا .

(ع)

٣٩- عمدة القارى شرح صحيح البخاري, للعلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥). نشر إدارة الطباعة المنيرية .

(ف)

٤٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري, للحافظ أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢) ط السلفية .

(ق)

٤١- قذائف الحق لمحمد الغزالي السقا .

(ل)

٤٢- لسان الميزان في الرجال ,للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢). تصوير بيروت .

(م)

٤٣- مجمع الزوائد ,للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧) نكثر دار الكتاب بيروت .

٤٤- مجموع الفتاوى ,لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الشهير بابن تيمية (ت٧٢٨) مطابع الرياض سنة ١٣٨١هـ

٤٥- المجموع شرح المهذب للعلامة أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦).

٤٦- محاسن الاصطلاح ,للعلامة سراج الدين عمر بن رسلان المعروف بالبلقيني (ت ٨٠٥).

٤٧- مختصر الصواعق المرسلة ,للإمام محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١). نشر مكتبة الرياض الحديثة .

٤٨- مراتب الإجماع ,للإمام علي بن أحمد بن سعيد المعروف بابن حزم (ت ٤٥٦) دار الكتب العلمية - بيروت .

٤٩- مسائل الإمام أحمد ,للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥).

٥٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١) نشر المكتب الإسلامي - بيروت .

٥١- مشكلات في طريق الحياة ,لمحمد الغزالي السقا .

٥٢- المقدمة ,للحافظ أبي عمرو عثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣) تحقيق العتر.

٥٣- المنتقى ,لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٩٤) تصوير دار الكتاب عن الطبعة الأولى .

(ن)

٥٤ - النكت على ابن الصلاح ,للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) بتحقيقى الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ

(هـ)

٥٥- هموم داعية ,لمحمد الغزالي السقا .

عناوين الكتاب